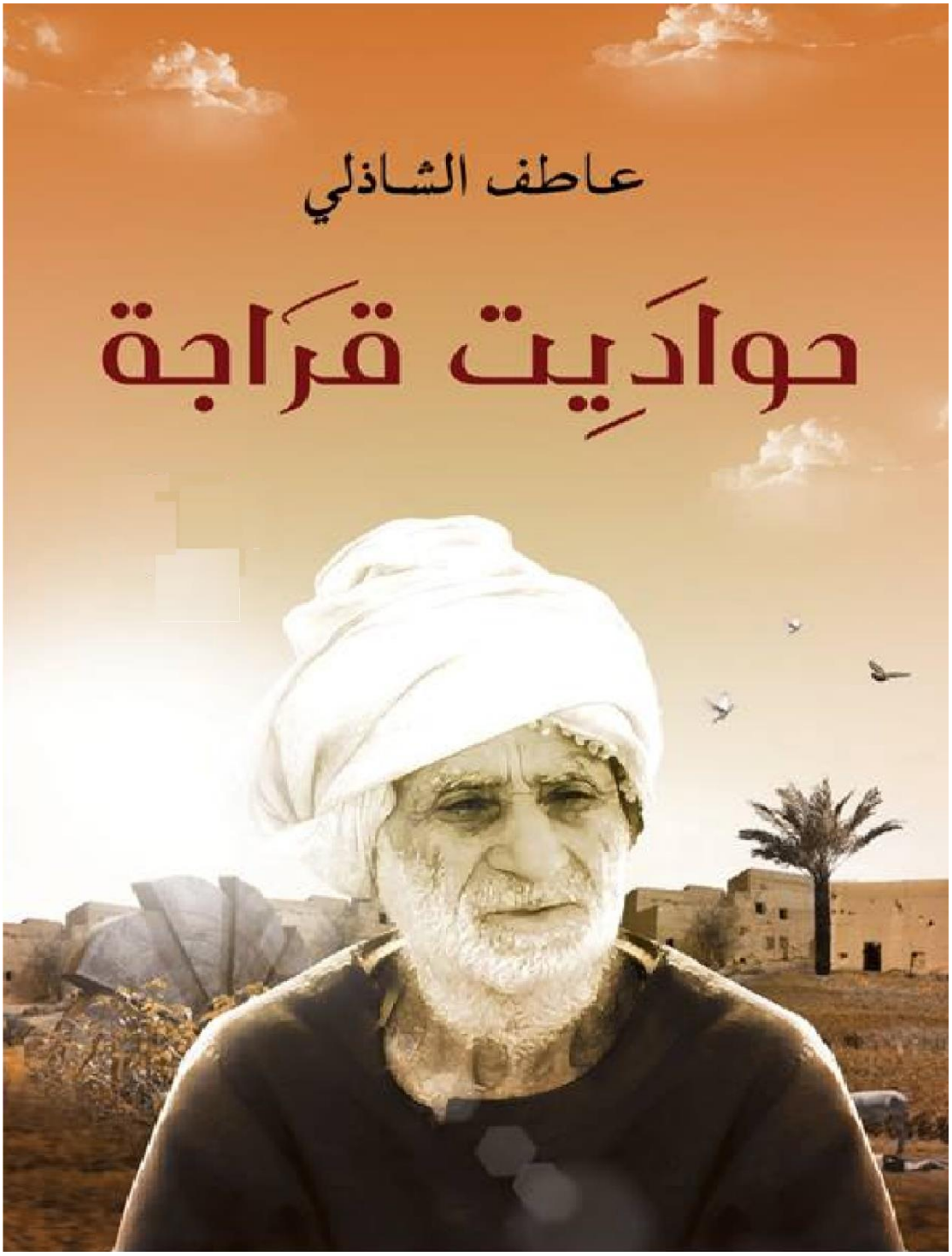
عاطف الشاذلي
حواديت قراجة

حواديت قراجة
(حكايات من تراث القرية)
عاطف الشاذلي

المحتوى

القصة	رقم الصفحة
كلمة السر	٧
كبير العيلة	١٤
عم مغاوري	٢٠
طريق اللمون	٢٦
جنية الشيخ هلالي	٣١
الصديق الجديد	٣٩
وزة عاشورة	٤٧
حمام برطوشي	٥٣
الخميس الحزين	٦٠
حق البقرة	٦٦
سحور دسم	٧٢
أبوشادوف	٧٤
الفقر وسنينه	٨٤
سحلول وبهلول	٩٠

محاولة اغتيال مبارك ٩٢

الحمار أولاً ٩٧

باشاميلا ١٠١

البيجامة ١٠٨

الجوع والمرض ١١١

الجاموسة ١١٧

صلاة العيد ١٢٢

مقدمة

(للشاعر والناقد والإعلامي الكبير / السيد حسن)

فى هذه الحكايات تتعانق رائحة الريف المصرى الطازجة في أندى تجلياتها بأصداء الشخصية المصرية في أروع استحضارها للتراكم التاريخي والحضاري في طبقاته المختلفة .

لن تستطيع أن تعرف أين تنتهي الحقائق ، وأين ينفتح أفق الخيال ؛ لأنك ببساطة أمام شاعر قرر أن يقتحم عالم الحكايا الشعبية لفلاحي مصر الذين يختزنون حكمتها تحت جلودهم ، والذين تمثل السخرية سلاحهم السحري في مقاومة ضغوط الحياة ، وتمثل الضحكة التي تنبثق من أقسى همومهم ، زادهم الروحاني الذي لاينفذ ..

عاطف الشاذلي هنا صائغ ماهر يلتقط لآلىء الحكي المصري ليصوغ منها عقداً فريداً ، لا كعقد ابن عبد ربه ، بل هو عقد لا يشبه إلا وجوه الفلاحين الملأى بالحكمة المستترة والإبتسامات الراضية ..

إذا أردت أن تدخل إلى هذا العالم الفريد فاخلع كل عباءات التكلف ، وانزع كل رياش الكبر الأجوف ، واخطر هوناً في صمت جليل ، حتى لا تزعج هذه الصحبة التى ائتلفت حول موقد الحكمة الشعبية النافذة ، يستدفئون بنارها ويدفئونها بودهم وقناعتهم وفهمهم العميق .

كلمة السر

كانت جنينة (الوسيمي) تشبه الحصون العسكرية ..

كان رياح النيل يحيط بها من كل الجوانب عدا الجانب الأساسي اللي يحرسه (جابر ابو دياب) ..

وجابر ابو دياب هو الغفير الحارس للجنينة ، وكان رجل مهيب الشكل ، وشّه عريض وفيه آثار جروح وسكاكين وله شنب كثيف مخيف ، وكان نادر لما يتكلم لكن نظرات عنيه حادة كأنها طلقين بارود ..

وكان يسكن (خص) جوه الجنينة ليل نهار مفيش نملة أو أسد يقدر يقرب من الجنينة ، لأن طلعت حكاوي كتير عن جابر انه (قتّال قُتله) ومعاه بندقية في الخص ..

وكانت الجنينة تحتوي على أغلب الفواكه وخصوصا المانجة والموز ، وهما الفاكهة اللي كنا نسمع عنها دايما من سيدنا الشيخ (بركات) شيخ الكتاب ..

قال ان المانجة والموز هما الفاكهة المحببة لأهل الجنة ، لأنهما أطعم من كل الفواكه ..

وكل مايحكي الشيخ بركات عن الجنة افتكر انها تشبه جنينة الوسيمي ، وجابر ابو دياب يشبه الشيطان اللي خرّج ابونا آدم من الجنة ..

وحلمت مع جميع زملائي من كتابنا وكتاب (الشيخ فرج) بدخول جنينة الوسيمي وأكل الموز والمانجة ..

لكننا كنا بنفوق من الحلم لما نتخيل الرياح المحيط بها من جهة ووش جابر المخيف من الجهة التانية ..

وحلمنا مرة نرّكب جناحين ونطير ونعبر الرياح وندخل الجنينة ناكل مانجة لما سمعنا حكاية عباس ابن فرناس ومحاولته للطيران ، لكن سمعنا من بعض اصدقاء الكتاب ان المحاولة فشلت ..

وسألت مرة سيدنا الشيخ بركات :

ممكن الانسان يطير زي الحمام .. ؟

وكان نصيبي انه علّقني في (الفلكة) وضربني بالزخمة وهوّ بيقول : علشان تحرّم ياكافر وتبطل تعترض على خلقة ربنا ..

وكان الشيخ بركات يحب يحكي حكاياته في الكتاب بعد مانصحح اللوح وناخد الدرس الجديد يبدأ يحكي حكاياته الخيالية عن الأنبياء وأولياء الله الصالحين بطريقة تشبه حكايات (ألف ليلة وليلة) ..

وكل ماياندمج الشيخ في الحكاية تلاقيه يعرق ويتشنج وبقه يطلّع رغاوي و(يتفّ) في اتجاهنا ، التفة تروح مطرح ماتروح مش مهم .. تلزق في أي واحد من اللي قاعدين في أول صف أو في الحيطة أوتلاقيها ف شبشبك لما تيجي تلبسه ، شيء عادي ، ورزازها ييجي على اللي قاعدين قدامه ، مفيش مشكلة .. كلها بركة من سيدنا الشيخ بركات .. المهم انه كان بيجسد الحكاية كأنها واقعة قدامك ، ويطعّمها ببعض الصراخ :

مدد ياسيدي فلان ، وشيلاه ياسيدي علان ..

وإذا تعب سيدنا نظرا للمجهود الشاق اللي بيعمله (يكوّع) له ساعة أوساعتين في مكانه على المصطبة واحنا قاعدين في الكتاب قدامه زي التماثيل ساكتين ساكنين نسمع شخيره وصفيره ، ولو حدّ أزعجه بالحركة أوالكلام مع اللي جنبه يبقى نهار اللي خلفوه مدوحس ..

وف أيام الصيف كان سيّدنا بيخصص طالب اسمه (شبراوي) وكانت كل مهمته انه (يهوّي) على سيدنا باللوح بتاعه علشان يعرف ينام في الحرّ ..

ومخصص مجموعة تانية من (التيران) كل مهمتهم انهم يعلّقوا أي طالب في الفلكة بسرعة مذهلة بعد مايسمعوا كلمة (هاتوه) من سيدنا ، في لحظة تلاقيه متعلق ورجله فوق وراسه تحت ..

وطبعا المجموعة كان يختارها سيدنا بمواصفات محددة ، أجسام هائلة وغباء محكم ، وزي مادخلوا الكتاب زي ماخرجوا ، لأن سيدنا كان بيعفيهم من الواجبات والحفظ ومن العلم ومن العقاب ..

وف يوم كان بيحكي سيدنا الشيخ بركات قصة سيدنا موسى ووصل لغاية لما ضرب بعصاه البحر ، قال سيدنا الشيخ بركات :

والناس من جهلها وقلة إيمانها بتحسب ان سر تحول المية للطريق اللي مشي عليه سيدنا موسى للعصاية اللي ف إيده ، نقول أيه على قلة العلم والدين ، (وبدأ يشرح وكأنه من العالمين ببواطن الأمور) ..

السر كله في كلمة قالها سيدنا موسى وهيّ اللي حولت المية وخلّته يقدر ينفد بجلده من فرعون الملعون ، والكلمة دي لو أي واحد قالها قدام أي بحر أو ترعة يقدر يمشي على المية ، بس على شرط ..

يكون عنده يقين كامل على الله انه حايمشي فوق المية ..

وطبعا سيدنا الشيخ حب يشوّقنا للموضوع اكتر دخل في حكاية تانية وقال :

سيدي وتاج راسي وراس اللي خلفوني علي زين العابدين ..

و(فاض بقه بالرغاوي وهوّ بيصرخ) :

مدد ياسيدي علي زين العابدين وياست ياطاهرة ويا آل البيت الكرام .. مداااااااااااد ..

كان رحّال في سبيل الله ولفّ الدنيا كلها راكب ركوبة ومشي بركوبته على كل البحار والأنهار بيقينه على الله وبالكلمة اللي قالها سيدنا موسى ، وكتير من التابعين قالوها زي سيدي محمد بن سيرين ..

وطبعا سيدنا الشيخ بركات من كتر صراخه تعب وقرر ياخد (فاصل) علشان يكوّع فيه شوية ، قال :

تعالى ياواد ياشبراوي هوّي عليا ..

وراح شبراوي يهوّي على سيدنا وانا قعدت متشوق للكلمة وكل تفكيري في جنينة الوسيمي ، بالكلمة دي اقدر امشي على الرياح وادخل الجنينة واكل من خيراتها موز .. مانجة .. تفاح ..

وإذا حسيت بالخطر من الديابة أو حتى جابر ابو دياب ارجع تاني امشي على الرياح ، وإذا طاردوني يحصل لهم زي فرعون ..

وميّلت على اللي جنبي اوشوشه .. أيه رأيك .. قال لي :

والله أنا مصدق كل كلام سيدنا ماعدا الحمارة اللي مشيت فوق مية البحر ، احنا حمارتنا لو شافت نقطة مية في المسقى مابتعديش عليها حتى لو ضربتها بالنار ..!!

وطالت نومة سيدنا وشخيره لدرجة ان شبراوي إيده تعبت أو سرح أو راحت عليه نومة واللوح اللي ف إيده خبط في وش سيدنا وهوّ نايم .. وصحي سيدنا مفزوع وقال (هاتوه) ..

وف لحظة رفعوه الزبانية في الفلكة ونال نصيبه من العقاب بسبب ان لوحه لمس وش سيدنا الكريم (غفر الله له) ..

وقعدت في انتظاركلمة السر اللي بسببها اقدر ادخل جنة الله على الأرض ..

لكنه أجّلها لليوم التاني لأن شبراوي عكنن مزاجه ..

اليوم التاني رحت الكتاب وانا كلي شوق ولهفة لمعرفة كلمة السر اللي حاتدخّلني جنينة الوسيمي ، وبعد سيدنا مانشّف ريق اللي خلفونا وحكى الحكاية من تاني قال :

سيدنا موسى لما لقى فرعون وجيشه وراه والبحر قدّامه بص للمية وللسما وقال بكل يقين :

(سير بإذن رب موسى) ..

ساعاتها البحر اتحول لطريق ومشي عليه ، مش بس كده ، السمك اللي في البحر كان بيدعي ويستغفر ربنا احتراما لسيدنا موسى ..

وكمان سيدي علي زين العابدين ، مدد ياسيدي علي مداااااااد ..

كان كل مايمر على بحر يقول للحمارة : سيري بإذن رب موسى ..

وفاق سيدنا من اندماجه وبص لنا وكحّ وعطس واتنحنح ونخر ومخر وطلّع تفّة ضخمة من بقه رزازها غطى كل اللي قاعدين في الكتاب .. وشاور لنا بصباعه وقال :

يعني لو أي واحد قال الكلمة دي قدام البحر أو الترعة وكله يقين على الله ، بإذن الله حايمشي فوق المية ، مش بس كده ، السمك والضفادع والتعابين اللي في الترعة تقف احتراما ليك ، ولو انك ماتستحقوش لا انت ولا أهلك ..!! انتو يعني حاتكونوا احسن من سيدي علي زين العابدين اللي ضفرهه برقابتكم ورقبة اللي خلفوكم ..

وبعد ماقال سيدنا الكلمتين دول ماسمعتش أي حاجة تانية منه ، كل عقلي وجوارحي بقت في جنينة الوسيمي وبقيت كأني شايف كل الفواكه قدّام عيني تمام ..

بعد الكتّاب قابلت أصدقائي من كتّاب الشيخ فرج وقلت لهم :

أنا عازمكم على مانجة وموز ، قالوا منين ؟... قلت بكل ثقة :

من جنينة الوسيمي .. !

التلاتة صابهم حالة فزع ، واحد قال ازاي ، وواحد قال وجابر ابودياب ، والتالت قال طب ازاي نعدّي الرياح ..

قلت لهم بكل هدوء :

ماتحملوش هم ، أنا اللي حاجيب الفاكهة ..

وصلنا للرياح وبقينا قدّام الجنينة ، قعدوا على الأرض وانا اتقدمت بكل شجاعة للرياح ووقفت على البر ورحت قازح وباصص للسما وقلت بصوت عالي :

سير بإذن رب موسى .. !

* * *

وفقت لقيتني باليل جوّه خص جابر ابودياب وبصيت حواليا لقيت زمايلي متكتفين بالسلب وجابر ابو دياب قاعد يلطش فيا بالأقلام وهو بيقول :

بقى رجّالة بشنبات وقطّاعين طرق مش قادرين يهوّبوا ناحية الجنينة وانت يابو (خرية) عايز تسرقها يابن ال...

هيّ صحيح ماعرفتش تربيك .. لكن انا اللي حاربّيك ..

وشوية وسمعت صوات امي جاية من بعيد بترقع بالصوت الحياني وتولول وتعدد عليا ..

ولما قرّبت من الخص توقعت ان جابر يبطل فيا تلطيش لكن زاد تلطيشه ليا وهوّ بيقول :

هيّ امك الست العاقلة بنت الأصول ناقصة بلاوي ....!!

كبير العيلة

كنت صغير لحظة موت ابويا وكان الحزن يمر عندي بمراحل متقلبة ..

اسمع واحدة من النسوان وهيا بتعدد على ابويا مجاملة لامي :

باب السعادة شكله أيه ياعمي .. أنا يوم دخلته زاد عليا همي ..

باب السعادة شكله أيه ياخالي .. أنا يوم دخلته صعب عليا حالي ..

باب السعادة شكله أيه ياسيدي .. انا يوم دخلته ماحد خد بإيدي ..

وبعد كل شطرة تنفجر الدار باللطم والصوات ويتقطّع قلبي من الحزن على ابويا ..

وبعد مايتعبوا ويقوموا بالواجب وزيادة مع امي وينكشحوا من الدار يعود الهدوء للجميع وانسى موت ابويا مؤقتا لحين حضور فرقة تانية من النسوان لتقديم فقرة جديدة ..

وأحيانا تكون الفقرة مختلفة عن الأولى ..

مرّة كنت قاعد في وسط الدار أنا واختي بنلعب ونضحك في أمان الله ودخل فوج من النسوان متناسقين كأنهم في طابور عرض عسكري .. وفجأة خرجت علينا واحدة من الطابور وكبّت (نيلة) زرقا فوق راسي وقعدت تصرخ وتقول :

بقيت ياحبيبي يتيم ، يانكد امك اللي جالها ف دارها ، مين بقى اللي حايربيك ياحزين يابن الحزينة .. !!

ساعاتها ارجع افتكر ابويا اللي مات ويتحول ضحكي ولعبي لعياط ونكد من تاني ..

وبمرور الوقت تآلفنا مع الواقع وأصبحت امي هي الأم والأب وعشنا في بيت العيلة مع ابويا (يوسف) وابويا (نصر) واولاد وبنات عمي زي أغلب بيوت القرية القديمة ..

وكان ابويا نصر الشقيان العرقان شايل كل شغل الغيط بمساعدة اولاد عمي واخواتي ..

وابويا يوسف المسئول المالي اللي يتحكم في كل اقتصاد الدار ..

وهو الواجهة اللي تشارك في المناسبات المختلفة نيابة عن أهل الدار .. وكان كل اخواتي وولاد عمي يخافوا من ابويا يوسف ويعملوا له ألف حساب ..

إذا دخل الدّار يلزم الجميع حدود الأدب ، ولايعلو صوت فوق صوته إلا أنا .. !!

كنت أسخر منه على قامته القصيرة ووزنه التقيل ..

وكذلك كنت دائم السخرية من ابويا نصر على طيبته الكبيرة ولبسه القديم المتهالك و رضاه الزائد عن الحد عن كل أحواله ..

وكانوا دايماً يضحكوا علي سخريتي وتقليدي لهم في طريقة كلامهم ومشيتهم ونومهم وخصوصا ابويا يوسف ..

كان يمسح بإيده عليا في كل مرة اقلده ويضحك من قلبه من غير مايتكلم ..

وكنت الوحيد من الأولاد في الدار الغير مكلف بعمل في الغيط ، يمكن بسبب اني أصغر يتيم في الدار ، أو لقرب الشبه لأبويا ، أو لصغر سني لأن ابويا نصر كان يقول :

بكرة تكبر ويستوي عودك وتبقى فلاح مليح وتطلع معانا الغيط تراعي أرضك ..

وف يوم كنت بالعب على الترعة مع صديقي (عزت) ولمحنا (مجاهد الجحش) جاي من بعيد راكب حمارته ..

وكان المنظر غاية في الطرافة ..

كان مجاهد راجل عملاق جدا ، طويل القامة عريض الكتاف شديد الضخامة والحمارة غاية في النحافة ، لدرجة ان الحمارة ماشية عرقانة وبتئن في خطواتها ومخلفة وراها سحابة من التراب الناتج عن رجل مجاهد الطويلة اللي بتحرت في الأرض ..

وطبعا المنظر كان كوميدي ، ضحكنا وبدأنا ندخل لبعض قافية ..

(أنا صعبان عليا الحمارة .. أول مرة اشوف حمارة راكبها جحش .. يعني حمارة بدورين .. طب أيه رأيك لو الوضع اتقلب .. المفروض يبدلوا مع بعض كل شوية .. والله يكون أريح للاتنين)..

ولما وصل لنا مجاهد لقانا بنضحك حسّ انه المقصود بالضحك .. وقف برجليه على الأرض وعدّى الحمارة من تحته ومسكنا وهزّنا بعنف وقال :

بتضحك على أيه ياواد انت وهوّ ..

طبعاً انا فكرت انه من نوعية ابويا يوسف وابويا نصر قلت :

ارحم الحمارة الغلبانة دي ياعم مجاهد دي الرحمة حلوة ..

الراجل قلب وشه وقال :

انت ابن مين .. ؟

ولما عرفني قال لي :

صحيح .. انت تربية مرة .. !!

ورغم صغر سني لكن كنت عارف ان الكلمة دي أصعب كلمة تجرح اليتيم في مشاعره ، حسيت بإهانة امي رحت زاعق فيه :

وانت مالك ومال امي ياراجل ياجحش انت .. !!

وماكان من الراجل العملاق إلا إنه لهفني قلم طيرني في الترعة وركب حمارته بمنتهى السهولة ومشي ..

وكنت على وشك الغرق لولا ان عزت صرخ بأعلى صوته وخرج واحد من غيطه أنقذني ..

وفي الليل كانت المندرة الكبيرة الخاصة بالضيوف بتشغي من البشر ..

(مجلس عرفي لتأديب وتهذيب مجاهد الجحش) ..

وكانت له تهم كتير ، وبحضور أعيان وكبار عائلات القرية ، وأصرّ ابويا يوسف نكون أنا وامي ضمن الحاضرين في المندرة ..

قال ابويا يوسف موجها كلامه للضيوف :

مش مهم عندي ان ابني انضرب كلنا بنأدّب عيالنا ، لكن نرميهم في الترعة يغرقوا ونسيبهم ونمشي ، يعني الولد لو مات كان أيه العمل ... فتعالت أصوات الحاضرين :

إخص عليك راجل خسع .. الله يكسفك .. دي عاملة تعملها .. والله انت عايز حش رقابتك ..

واسترد ابويا يوسف الكلمة وقال موجها كلامه لمجاهد :

واللي يحب يشتم واد صغير يعايره بموت ابوه وتربية امه ، هيّ دي الرجولة .. ؟

وشاور على امي :

هيّ دي يامجاهد المرة اللي ربت قاعدة في وسط مجلس الرجالة علشان الجميع يعرف ، المرة اللي بتربي العيل اليتيم (البلغة) اللي تلبسها ف رجليها برقبة ميت راجل من عينتك محتاجين يتربوا من جديد في سنهم الكبير ..

وماكان من مجاهد إلا انه بكى بحرقة وقام مصمم على إنه يبوس رجل امي وهيا لابسة البلغة ، لكن امي وعمي رفضوا ..

رجع يبكي من تاني ويندم على فعلته ..

واقترح المجلس غرامة مالية عليه ، لكن ابويا يوسف رفض لأنه راجل غلبان واحنا مانقبلش (عوض) ..

رجع مجاهد تاني يبكي بحرقة أكتر ويعلن ندمه على فعلته الغبية ..

وانفض المجلس وخرجت منه بشيء مهم جدا ، حسيت بقيمة ابويا يوسف والكاريزما اللي تميزه عن الجميع ، كم كان مجاهد العملاق ضئيل مكسور ومستأنس في حضوره ، وكم رأيت طاعة الجميع له .. إذا تكلم سكت الجميع يسمعوا كلامه ..

وكان لابد من إعادة تقييمي لشخصية ابويا يوسف ..

كنت شايف ان ابويا نصر شايل الحمل التقيل لأنه الشقيان العرقان في الأرض ، لكن اكتشفت ان ابويا يوسف شايل الحمل الأكبر ..

كان المسئول عن تسويق المحاصيل وبيع وشراء كل مايخص الدار .. حتى انه في بعض الأحيان يسافر للبندر لبيع المحصول لتحقيقق عائد أكبر للدار أو للتوفير في حالة شراء شيء يخص الدار .

وكان هو المكلف بجميع الإجراءات الخاصة بالزواج والمجاملات لجميع أفراد العيلة ، حتى أهل الدار كانوا يتباركوا إذا تم توزيع (نايب) اللحوم عن طريقه عكس ابويا نصر ، إذا تصادف وتم توزيع اللحوم

عن طريقه بسبب غياب ابويا يوسف لأي شيء عارض يتسبب في ثورة عارمة بين أغلب أهل الدار لإحساسهم بالظلم ..

كان ابويا نصر تنحصر حياته في شيئين فقط .. الغيط و(الدنيارة) .. أما باقي أمور الدنيا لا تهمه ولا يعرف عنها شيء ، حتى إنه مرّة مرض وخدهِ ابويا يوسف يكشف عند الحكيم في المركز وأول مارجع تاني للدار قال :

ياجاهِ النبي .. أنا ماكنتش عارف ان الدنيا واسعة كدهِ .. !

وبعد ماخرج الضيوف من المندرة دخلنا كلنا القاعة ننام ، حسيت ان صدري مليان بحب ابويا يوسف ، وفهمت معنى اللقب اللي كنت اسمعه ينقال عنه (كبير العيلة) ..

اليوم التاني والجميع قاعد في الغيط قال ابويا نصر :

حاتقلّد لنا مين النهاردهِ ، قلد ابوك يوسف كان بيقول أيه لمجاهد امبارح ..

بصيت لوش ابويا يوسف المبتسم فانتفض قلبي من الرهبة وابتسمت على استحياء .. ولم أرد ..!!

عم مغاوري

كل يوم الحياة بتتغير في قريتنا ..

ناس تروح ناس تيجي .. ناس تسافر ناس تهاجر .. ناس تتولد وناس بتموت إلا هوّ ..

ساكن (خص) من القش والخشب وجريد النخل في جنينة (كامل بيه) ملطوخ بالطين من تلات جهات والجهة الرابعة بتطل على الجنينة ..

وكان كل اللي يملكه في الخص حصيرة متهالكة اتحول لونها بفعل الطبيعة والزمن وفيها عدد لابأس به من الخروم ، و (حمل) عتيق عدد خرومه أكتر بيتغطى بيه في الليل وبالنهار يفردهه على (سيبة) خشب جوه الجنينة علشان الشمس تنقيه من (البراغيت) ..

وباقي مقتنيات الخص كانت عبارة عن (قلة) قديمة ملساء مكسور ودانها و(قوطة) دايما فيها عيش ناشف تمللي يغمرهه في المية لاجل يطرى شوية وتقدرعليه بقية سنانه اللي راح أغلبها من بقه ، و (قارعة) فيها مش تقدر تشمه من بعيد وتشوف الدود اللي بيلعب فيها زي السمك ، وكل مانسأله :

ازاي بتاكل المش وفيه دود بالشكل دهـ ، يبتسم ويقول :

وماله يابني ، ماهو برضه ظفر ، ومسيرهـ ف يوم حاياكلنا ..

وكمان كان فيه بعض أدوات الفلاحة .. فاس .. منجل .. بالطة .. ومقطف كبير قديم مليان حاجات غريبة .. مسامير كبيرة .. راس فاس .. حبال ليف .. منشار حديد ..

وحاجات كتيرة عجيبة وكان يسميه (مقطف العزاويل) ..

وكان قدّام الخص حافر (راكية) وجنبها كوز شاي أسود مهبب بفعل النار ومربوط بإحكام بواسطة سلك ومعاه فنجانين صاج صغار سعة أربع شفطات على الأكثر ..

وكنا لما نقعد معاه يحكى حكاويه المضحكة ..

كان طفل شقي جدا يعمل مقالب كتير في الناس كبار وصغار ، وازاي بيلعب زمان مع اصدقائه ألعاب زي الحكشة وشد الحبل والمواقف الطريفة اللي حصلت في اللعب ..

ومرّة عمل نفسه مجنون وهوّ شاب وطاح في الناس والناس صدقت وخافت منه ..

وكمان كان يحكي حكاوي عن عفاريت كتير طلعت له في الجنينة في عتمة ضلام الليل ..

وهكذا كانت حكاياته الجميلة والمشوقة ماتنتهيش ..

ورغم ان كلنا أطفال نحب اللعب والجري كتير ، لكن كنا نحب نقعد معاه اكتر ، لأن حكاويه المثيرة وخفة دمّه كانت لها جاذبية تفوق جاذبية اللعب ، وكنا بنقول له ياعم مغاوري أو يابا مغاوري ...!

وابويا مغاوري راجل ماتقدرش تعرف سنّه كام ..

إذا اتكلم وضحك تحسّ انه في عنفوان شبابه ، واذا اختفت منه الإبتسامة وسكت تحسّ انه في منتهى كهولته ..

لكنه كان دايما ضحوك مبتسم ، وكان الشيئ الوحيد اللي يقلب ضحكته لحزن عميق إذا ذكرت سيرة العمدة أو شيخ الغفر ودراعه اليمين ومنبع شرهِ (سيد ابودقماق) ..

ساعتها يتغير لونه ويتملكه حزن كبير مشحون بالغضب وعينه تدمع ، وإذا اتكلم يحكي عن ظلم العمدة وسطوته وازاي نهب منه القيراطين اللي كان يحتكم عليهم وكانوا ساترينه في الدنيا لأنهم كانوا واقعين في زمام أرض العمدة .

حاصره بالديون وهدده بالسجن وقدر بمساعدة سيد ابودقماق انه يبصّمه على بيع الأرض والدار ..

ومن يومها عاش ابويا مغاوري معزول عن الدنيا في خص في جنينة كامل بيه ..

وكان ابويا مغاوري يتمتع بجسم هزيل للغاية لدرجة انك تقدر تعد عظامه وعروقه البارزة من أطرافه ورقبته وقامته قصيرة محنية ..

أما عن لبسه ماكان يمتلك غير جلابية لونها فراني فيها بانوراما من الرقع والخروم والحروق ، ورابط على راسه منديل محلاوي كاكي ورجله عليها طبقة سميكة من الجلد الميت المتشقق بشقوق يجري فيها الفار ..!! ودايما تلاقيه حافي ..

مرّة سألته :

فين مداسك يابا مغاوري ؟

ضحك وهو بيمسح على رجله وقال :

هوّ فيه بلغة جلد طبيعي احسن من دي ، أنا لابسها من خمسين سنة وعمرها ماحاتدوب ولا حاتروح لصرماتي لحد ماييجي الأجل ..

وان شاء الله حايبعثني يوم الموقف العظيم وانا لابس أحسن وأفخم جلابية (كشمير) وطاقية (وبر) وبلغة جديدة (فاقوسي) معتبرة ..
وسكت ابويا مغاوري شوية وقال بإصرار وهوّ بيشاور للسما بصباعه :

وبإذن الله حاستئذنه يوم الحشر الأعظم و انسل فردة من بلغتي على راس العمدة ، والتانية على راس سيد ابودقماق ..!!

وذادت الصلة بيني وبين عم مغاوري وبقيت اقضي معاه أوقات كتيرة لوحدنا لدرجة ان طلبت منه مرّة انام معاه في الخص ..

ضحك وقال لي :

انت لسة صغيّر (يابو عبعزيز) ماتتحملش عض برد الليل ، وكمان امك تقلق عليك ..

وأخيرا منحني شرف ملو القلة من طرمبة (ابو يوسف) ..

وفجأة انتشر كلام كتير في القرية عن عصابة خطيرة تسرق البيوت وكل اللي فيها من فلوس ودهب و(تنقب) الزرايب وتسرق البهايم .. وكانت الناس في حالة رعب وفزع ، قلت له :

خد بالك يابا مغاوري احسن الحرامية يطبوا عليك بالليل ، قال لي :

أهلا وسهلا يشرّفوا ، يمكن حالي يصعب عليهم ويفوتولي حاجة ..!!

وكتر الكلام عن هوية أفرادهم وعددهم ، ناس قالت انهم من البر الغربي ومسلحين وعددهم كبير بدليل ان كان ممكن في ليلة واحدة يحصل أكتر من حالة سرقة ..

وف ليلة رحت املا القلة لابويا مغاوري قال لي :

اسمع ياواد ، انت (عترة) ، وطالما بتسقيني مية نضيفة أنا كمان حاحلّيلك بقك ، حاأكّلك جميز معتبر من جميزة الوسعاية ..

وجميزة الوسعاية كانت جميزة ضخمة فارهة الطول في وسعاية قدّام دار ودوار العمدة ، وكنا بنلعب تحتها ونحاول نتسلقها لكن مانقدرش نجيب نصّها ، وكانت قلة محترفة من فلاحين القرية هما اللي يجيبوا شواشيها وطبعا يجمعوا منها أفخم وأشهى جميز منهم أبويا مغاوري ..

مليت القلة ورجعت انتظرهِ في الخص ، لكنه غاب عليا وطالت غيبته ، وبدأ يدخل الليل وبدأت اسمع أصوات ديابة وتعالب في الجنينة خفت فانطلقت زي السهم لدارنا وضحيت بالجميز ..

وفي نفس اللية شاع خبر في القرية ان تم القبض على العصابة الحرامية ، ونادى منادي القرية :

كل واحد يلزم دارهِ لأن عساكر النقطة ممكن تقبض عليه ..

تاني يوم واحنا في طريقنا للمدرسة سمعنا خبر ان (بوكس) المركز واقف في وسعاية العمدة علشان يرحّل العصابة للمركز ..

رحنا نتفرج على المشهد ، وكانت المفاجأة ..

لقينا عساكر كتير واقفين بالبنادق قدّام دوارالعمدة ومعاهم ضابط كبير ، وخرج سيد أبو دقماق ومعاهِ جمع من الغفر وساحبين ابويا مغاوري متقيّد في السلاسل .. !!

وصاح سيد ابو دقماق موجها كلامه للضابط :

هوّ دهِ ياسعادة البيه الحرامي الخطير اللي نهب البلد وخلّى الناس عايشة في حالة رعب ، ظبطناهِ بالليل بيحاول ينط فوق دار العمدة من على الجميزة وكان معاهِ أسلحة كتيرة ..

رد عليه الضابط بحسم :

بلغت بيك الجرأة يامجرم انك تحاول سرقة العمدة ، لازم تنال جزاءك علشان البلد تنضف ويرجع (الأمن مستتب) في البلد ..

ونادى على العساكر :

خدوهِ ..

وسحبوا العساكر ابويا مغاوري وبصيت لجسمه الهزيل وهوّ مكبّل بسلاسل غليظة تقيلة حنت قامته اكتر ودفعوه بعنف داخل البوكس.

وقفت مذهول مش مصدق اللي بيحصل ، وجت عيني ف عينه .. والغريب ان لقيته بيبتسم بلون حزين منكسر ، قريت اللي ف عنيه ..

ياترى فيه عيشة أقل من عيشة الخص ، ولاطقّة اقل من المش ، ولافاكهة أقل من الجميز ، حتى دول كمان استكتروهم عليك يابا مغاوري .. !!

وتابعت البوكس وهو بينطلق بعيد على السكة الزراعية وفقت على صوت سيد ابو دقماق بيصيح بصوته الجهوري :

كل شيء تمام يا حضرة العمدة ، و (الإمن) مستتب .. !!

طريق اللمون

كان موت عبدالحليم حافظ في أخر شهرمارس ٧٧ يوم حزين جداً على شباب وأطفال مصر المحروسة ..

كنت في سنة سادسة ، وكان عبدالحليم هو المثل الأعلى لينا ، وكان حلمي لما اكبر أكون صورة منه في شهرته وصوته ولبسه ، وحتى كمان في مرضه ..!!

وكان يشاركني في حلمي أغلب أصدقاء جيلي ..

وكان (حجاج) صديق الدراسة وجاري يعرف الأخبار كل يوم من خلال مستشفى القرية لأن أبوه كان موظف فيها ..

كان يروح المستشفى يقرا الجورنال الصبح ويحكي لنا واحنا في طريقنا للمدرسة عن أخبار الفن والحوادث والكورة ..

وفي اليوم التالي لموت عبدالحليم قال لي حجاج :

النهاردة جاي فيلم لعبدالحليم اسمه (حكاية حب) ، الفيلم يعتبر هو نفس قصة حياة عبدالحليم ..

قررت اشوف الفيلم لكن فين .. قال لي : في قهوة حلمي شكر ..

وكانت القهوة تقع في أطراف القرية وفيها تليفزيون بيشتغل بالبطارية لأن الكهربا لم تدخل القرية بعد ..

بالفعل رحنا القهوة ودفع كل واحد (تعريفة) وبدأ الفيلم وتابعته بكل حواسي وضحكت مع النابلسي واتنكّدت مع عبدالحليم خصوصا لما الدكتور قال له مش حاتعيش غير سنة واحدة بس ..

وفجأة ميل حجاج عليا وقال لي :

أنا حاقوم اروّح لأن ابويا بيقفل الباب حاتيجي معايا .. ؟

قلت له : لأ طبعا ، حاكمّل الفيلم ..

وكمّلت الفيلم وانا في منتهى السعادة ، لأن عبدالحليم عاش ، ورجع لحبيبته وكمان باسها في آخر الفيلم ..

خرجت بعد الفيلم سعيد جداً وحاسس ان عبدالحليم لسّه عايش ، ومشيت في الطريق اتحسس خطواتي لأن الضلام كاسي شوارع القرية وانا باغنّي ..

بتلوموني ليه لو شفتم عنيه حلوين قدّ أيه ..

وفجأة تذكرت مصيبة كبيرة في انتظاري ، علشان اوصل دارنا لازم امرّ على طريق اللمون ..

وطريق اللمون كان طريق شديد الظلمة يمر بجنينة أحد أعيان القرية ، وكان شجر الليمون كثيف على جانبيه وطلعت عليه حكاوي كتيرة من عفاريت وجان وناس اتقتلت فيه ..

مشيت ادعي ربنا ان الاقي حد عند أول الطريق اوصل معاه ، لكن وصلت لقيت الطريق خالي من أي بشر ..

وانتظرت بدون جدوى لأن الوقت كان بعد نص الليل ..

ولما يئست وبدأ الخوف يتسلل لجسمي وبدأت اسمع بعض الأصوات الغريبة قررت أخد الطريق بأقصى سرعة علشان اختصر مدة الرعب .. خلعت الشبشب واتحزمت عليه في الجلابية وانطلقت ابرطع زي قطر السكة الحديد ..!

في نفس الوقت كان (محمد الديب) عندهم (جدي) تايه ومارجعش البيت خرج يدوّر عليه في طريق اللمون لأنه كان ملتقى معيز وجديان وخرفان الناحية ..

وكان عندنا اعتقاد عجيب ان الخوف الشديد يخلّي شعر راسك أبيض ، وعلشان شعرك مايبيضّش لازم تتبول مكانك أول ماتحس بالخوف ، ودا اللي عمله محمد الديب ..

وطبعا أنا جيت عليه شاقق عليه الطريق قطع تبوله وخد ديله في سنانه وانطلق يجري قدّامي .. !

ولسوء الحظ كان واحد رمى حمار اسود ميت في الطريق بالليل .. وحصل بينا تصادم وقعت فوقه واتحسسته في الضلمة وقلبي حاينفجر من الخوف وصلت إيدي تقريبا لودانه ...!

ياليلة سودا ..عفريت ..!!

قمت اجري بسرعة اكبر وبخوف وفزع اكتر واكتر ..

وصلت باب الدار اضربه بإيدي ورجلي وكل جسمي وانا باصرخ :

افتحوا الباب ..

كمّلت ليلتي بأحلام مزعجة وكوابيس ، لكن العجيب ان صحيت من نومي وانا في منتهى السعادة .. ليه بقى ..؟

كان زمان التسلية الوحيدة لينا في الليل هي لعبة استغماية وكهربا وكتير من الألعاب اللي تحتاج مجهود شاق ..

ولما ياخدنا التعب نقعد تحت توتة جنب الطاحونة نستكمل الليلة بحواديت ، وكان للعفاريت والجن وابورجل مسلوخة نصيب الأسد من الحواديت ..

وكانت مشكلتي وعقدتي الأزلية ان عمري ماطلع ليا عفريت ، فكنت مضطر اكدب عليهم مرات كتيرة اني طلع ليا عفاريت وجن وحاجات من النوع دهـ ..

واضطريت طبعاً احلف لهم لاجل يصدقوني ، وكان الحلفان من نوعية (يارب اتشل) و(يارب اتنقط) و(يارب انحصر) و(ان شالله اعمى) وكنت اقوله بصوت مرتفع وبعدهـ اقول في سري ..

(استغفر الله) ..

وكدهـ ربنا مش حايستجيب الدعا ويسامحني تمام زي ماقال لنا الشيخ (صالح) في الكتّاب ..

النهاردهـ بس حاقدر اقول طلع ليا عفريت وانا ضميري مرتاح ، حاقدر احلف بقلب جامد من غير ماقول بعدها (استغفرالله) ..

صحيت بدري متلهف لرؤية زملائي حجاج ومحمد الديب وعلاء طنطاوي وجمال ابوالعلا علشان احكي الحكاية لهم واحنا في طريقنا للمدرسة ..

لكن قررت اعمل تعديل واضافة ، العفريت مثلا كانت عنيه بتطق منها شرار وطالع نار من ودانه وبقه وكل مااحاول اهرب منه يشدني ، ورسمت سيناريو مثير جدا ..

خرجت لقيت الشلة كلها واقفة في الشارع في انتظاري علشان يبدأ تحركنا للمدرسة ، انطلقت عليهم قائلا :

أما انا حصل لي شيء رهيب امبارح ..

قاطعني علاء :

استنى نسمع حكاية العفريت اللي طلع لمحمد امبارح .. كمل يامحمد ..

قال محمد : ولسه انا يادوب ماكملتش لقيته جاي من بعيد من قلب سجر اللمون وصوت رجليه بيدب في الأرض زي الكراكة ..

قاطعته في زهو المنتصرين :

أنا اللي كنت باجري امبارح في الطريق ..

وحكيت لهم الجزء الأول من الحكاية وأفشلت حكاية محمد واقتنعوا بالدليل ان عفريت محمد الديب طلع فشنك ..

وبدأت استعد للجزء التاني وتعديلاته وحبكاته ودورالبطولة اللي حاقوم بيه اليوم والأيام اللي جاية ، لمحت شغف حجاج وعلاء وجمال لسماع الحكاية وخيبة أمل وانكسار محمد الديب .. قلت :

وانا باجري بسرعة صديت في عفريت شكله اسود مش باين منه غيرعنيه اللي بتطق شرار ولمحت نار طالعة من بقه وودانه ..

وقعت على الأرض وإيدي لمست جسمه اللي كله شعر حاولت اقوم شدني وقال لي .....

وفجأة صرخ محمد الديب :

أهو .. عفريت صاحبنا طلع كمان أونطة ، مفيش حد احسن من حد ..

فقت من اندماجي لقيتنا في طريق اللمون قدّام صاحبنا الحمار الميت وباقي الشلة كلها بتضحك ..

وبدأت التعليقات الساخرة :

الحمار قال لك أيه .. يكون اللي طلع لك عفريت الحمار .. ابعد ياجدع احسن النار الخارجة من بق الحمار تحرقك ..!

ومع كل جملة تتعالى أصواتهم بالضحك وتزيد حسرتي وانكساري ، ومأأنقذنيش من سخريتهم إلا لحظة وصولنا المدرسة وبداية طابور الصباح الجديد ...

جنيـــّة الشيخ هلالي

كان (رفعت البنا) هو فارس ذكريات الطفولة ..

كان متفرد في كل شئ ، وكان اكتر مايميزه أنه مابيظهرش معانا في أكتر الليالي ومابيلعبش معانا العاب جماعية ..

كانت أيامها شلة اللعب ثابتة ، وحتى إذا لعبنا لعبة جماعية زي (الحكشة) و (استغماية) و (طيروا) تكون الفرق هي نفسها في كل ليلة ، ولكن إذا حضر رفعت يكون الأمر مختلف ..

إما إنه يمارس ألعابه الخاصة زي لعبة (البجع) ، وفيها بيمشي على إديه ورجله مرفوعة لفوق ، أو يأجر عجلة من محل (السيد الجدع) العجلاتي ويمارس عليها بعض العابه الأكروباتية ، مثلا يقف على الكرسي وهي ماشية ، أو ينام عليها ويحط رجليه فوق الجادون وراسه على الكرسي ..

وفي بعض الأحيان كان بيخترع ألعاب جديدة عمرنا ماسمعنا عنها زي لعبة (البلاد) و (أمك ف العشة ولا طارت) وغيرها من الألعاب اللي كانت تحتاج فرقتين وقائد ، وكان هوّ طبعا القائد ..

وفي بعض الأحيان يمارس أكروباته مع الكلاب ، رغم انها كلاب بلدي حقيرة تتسم بالغباء التام لكنه علّمها بعض الذكاء ، فكان مسمي كل كلب بإسم ، وإذا نادي عليه بصوت مرتفع ييجي الكلب بسرعة ان شالله يكون في آخر الدنيا ، ويبدأ يحركه بإشارات من إيده ، نط فوق .. ارقد ..امشي بسرعة هناك ..

وفي كل مرة يشاور رفعت بصباعه للكلب يقوم الكلب يهزّ ديله وينفذ الأمر بسرعة مذهلة زي مايكون كلب بوليسي ..

وكنا في أي فقرة من فقراته مانملكش إلا اننا نقعد نتفرج على هذا الفنان العظيم ، وفي النهاية نصفق له امتناناً على مجهوده الشاق ..

وبعض الليالي كان يختمها بحواديت ، وماكان أي حد يجرؤ يقول حواديت في وجوده ، لأنه كان يجسّد الحدوتة وكأنك شايفها قدّام عنيك ، وماتقدرش تغمض عنيك ولاتسرح وهوّ بيحكي ..

وكانت كلها حواديت رعب ، ولما كان رفعت يحكي الحواديت في الضلام تحت توتة جنب الطاحونة وقدّامها جنينة وعيوننا بتبص على الجنينة خلسة وكلنا إحساس ان العفريت اللي بيحكي عليه حايخرج من الجنينة بين لحظة والتانية ..

وكان قلبنا بيتنفض من الرعب ، حالة غريبة لكنها كانت حالة متعة لنا جداً مش عارف ليه .

ومع مرور الزمن راح من ذاكرتي أغلب الحواديت ولكن فيه حدوتة لسّه فاكرها بكل حزافيرها ..

بعد ماخدنا التعب قعدنا ف دايرة نلعب (الحجر دار) ، طبّ رفعت علينا وقعد على راس الدايرة وقال :

أنا حاحكي لكم حدوتة (جنية الشيخ هلالي)..

الحقيقة أنا كنت مزنوق وعايز اعمل زي الناس ، لكن خفت يضيع مني جزء من الحدوتة خصوصا ان الشيخ هلالي جارنا في الغيط ، قلت استحمل شوية ..

وبدأ رفعت يحكي الحكاية وكل الأنظار في اتجاه بقه والأنفاس مكتومة ومفيش غير بعض الأصوات الغريبة التي تصدر من بطني بين الحين والآخر ..

صلوا ع النبي ، في يوم الشيخ هلالي بعد ماصلّى المغرب في المصلية اللي قدّام غيطه ، واليوم دهـ كان وقع على رجليه ومش قادر يمشي ، وكان في الوقت دهـ بايع حمارته ..

دخل عليه الليل وهو قاعد محتار يروّح بيته ازاي ..

بكى الشيخ هلالي على حاله ودعا ربنا يحلها من عندهـ ..

وفجأة ظهرت الجنيّة في الضلام على شكل حمارة بيضا تاكل بعض الحشائش جنب المصلية .

والجنيّة لما تعمل حمار إذا أي حد ركبه تطلّعه فووووق في السما ، وفجأة توقّعه ينزل على الأرض (زرع بصل) مايحطش منطق ..

بصّ عمك الشيخ هلالي يمين وشمال يمكن يكون لها صاحب ولكن مالقاش أي بشر من حوله ..

قال في عقل باله :

أنا اركبها توصّلني لداري واسيبها هناك يمكن صاحبها يلاقيها ..

ركب الشيخ هلالي الجنية وانطلقت بيه بسرعة و ....

وفجأة حط رفعت أيدهـ على مناخيرهـ وقال :

مين اللي فقع الوردة دي ..؟

كلّنا قلنا في نفس واحد :مش انا ..

قال : طب احلفوا ..

كلنا حلفنا واحد واحد ..

قال : أنا حاعرفه ، كل واحد يديني كمّه .. !

وبدأ يشم كم جلابية كل واحد مننا ، واكتشف بعبقريته في النهاية ان مصدرها العبدلله ..!!

قال بهدوء وثقة :

والله أنا ما حاقول و لاكلمة إلا لما تقوّموه من قدّامي ..

وكنت أصغرهم سناً وأخفّهم وزنا ، شالوني وحدفوني خارج الحلقة ، ولم يشفع لي عندهم بكائي وصراخي ، لدرجة ان اللي رموني كان فيهم أخويا وابن خالي والباقي كلهم أصحابي وزمايلي في المدرسة ، ولكنهم ضحوا بيا علشان يعرفوا مصير الشيخ هلالي المسكين مع الجنية الملعونة ..

وانا كمان طبعا أشفقت عليه وكنت عايز اعرف ياترى حايموت ولا أيه حاينقذه من الجنيّة (رغم ان انا كنت شايفه نفس اليوم العصر بيشتغل في الغيط زي الرهوان) ..

فضلت واقف خارج الحلقة ابكي واخطب ودّ رفعت لغاية ماحنّ عليا وقال : وسعوا له ..

رجعت تاني الحلقة وبدأ رفعت يستكمل الحدوتة ..

ركب الشيخ هلالي الجنية وكل ماتبدأ تسرع يشد (الخدمة) عليه جامد ويقول لها : (على مهلك يابنت العكروتة) ..

وقدر يلجّمها طول ماهيّ ماشية في زقاق العريضة ، وعند الحوداية قامت ناطة مرة واحدة لفوق لفوق لفوق ..

قاطعه (عماد السيد) قال له :

استنى يارفعت فيه واحد واقف ورا التوتة في الضلام عايز يخضّنا ، أنا حاكشفه ..

ويادوب وصل عماد للتوتة وصرخ مذعور بأعلى صوته :

عفريت ..... !!

وكانت الكلمة دي كفيلة بأن كل واحد يطير لبيته في لحظة ..

انتهت الجلسة ولم تنته الحدوتة ..

تاني يوم سألنا عماد : أيه اللي انت شفته ورا التوتة ..

قال : ماشفتش حاجة ..!

واعتبر انه طالما شاف ان فيه شبح ورا التوتة واختفى فجأة يبقى أكيد(عفريت جنّي) ..

وطبعا سألته عن اللي حصل للشيخ هلالي في باقي الحدوتة قال :

حايكون حصل له أيه يعني ، ماهو مرمي جنبك في الغيط زي القرد ..!

تاني ليلة اجتمعت الشلة كلها لكن رفعت غاب ، وبدأ الكل يخمن باقي الحدوتة على أساس ان الشيخ هلالي نفد من مكر ودهاء الجنية ..

واحد قال انه قرا عليها عدية ياسين ..

والتاني قال انه طار في الهوا لأنه راجل بركة ..

والتالت قال انه وقع فعلا من عليها لكن حظه الكويس انه وقع في الترعة الكبيرة ..

والرابع قال انه أكيد مات ..!

رد عليه (سمير عثمان) : مات ازاي ياغبي وهوّ قاعد دلوقتي في دارهم والحضرة منصوبة عندهم كل ليلة ..!

وسابنا رفعت حيرانين مشتاقين نسمع باقي الحدوتة وطالت غيبته ، وكان بيتعمد علشان يشوقنا أكتر لدرجة ان لو واحد من الشلة قابله في النهار وسأله عن باقي الحدوتة يتهرب منه ..

وف يوم ذهب وفد رفيع المستوى بقيادة (مصطفى سعد) و (ربيع سند) وجابوا رفعت معاهم واتنصبت الدايرة ..

وبدأ رفعت بصوته المعبر يكمل الحدوتة ..

عمك الشيخ هلالي أول ماطلعت بيه الجنية لفوق فتّش في جيوبه لقى (المسلة) اللي بيخيط بيها المقاطف ، والغريب انه كان كل يوم يسيبها في الغيط ، لكن اليوم دهـ بس مش عارف أيه اللي خلاه يحطها في جيبه ..

طلّع المسلة من جيبه وقال مدد ياسيدي بيومي و(غرز) المسلة في ضهر الجنية ..

الجنية اتألمت أشد الألم وقالت له : شيل ياعم المسلة من ضهري ..

قال لها : أنا عارفك من أول ماشفتك يابنت العكروتة..!

قالت له : وعرفتني ازاي ..؟

قال : من خصلة الشعر الاسود اللي ف راسك ، لأن مفيش حمير يكون شكلها أبيض ف ابيض وف راسها خصلة شعر سودا ، الجان بس اللي شكله كدهـ ..

قالت له : طيّب شيل المسلة أرجوك وانا مش حأذيك ..

قال لها : نزّليني وروّحيني داري وانا اشيل المسلة ..

نزلت الجنية ومشيت بيه في الطريق ، وكل ماتحاول تغدر وتطير به لفوق يغرز المسلة في ضهرها من تاني ..

وصل دارهـ وخد خصلة الشعر الاسود اللي في راسها وطلب منها تكون تحت طوعه طول عمرهـ ، وان خالفته يحرق الخصلة تقوم تتحول الجنية لحمارة في الحال ..

قعدت الجنية تخدمه سنين طويلة في الغيط ، كانت تساعده في عزيق الأرض وجمع المحصول وحش البرسيم ، وماكانش يحتاج مساعدة من أي فلاح لأنها أقوى من أربعين راجل ، وحتى لو حب يشيل الزريبة ماكانش يحتاج يستلف حمير من حد لأنها تشيل حمل عشر حمير واكتر ..

وكانت مابتظهرش بالنهار ، لكن أي شغل تعمله بالنهار وهيّ مختفية .. وكان كل شغل الفلاحة تعمله بالليل ..

وحتى ولادهِ كانت بتوديهم المدرسة في المركز علشان يتعلموا ، وماكانوا يحتاجوا ركوب مواصلات ..

ولما كبروا الولاد واتوظفوا حب الشيخ هلالي يرد الجميل للجنيّة .. سلّمها خصلة الشعر وشكرها على أفضالها معاه طول السنين اللي فاتت ، لكنها رفضت تسيبه وقررت تعيش في خدمته لأنها حسّت بالسعادة معاه طول العمر ، هوّ و عياله و مراته خالتك هناوة ...

وتوتة توتة خلصت الحدوتة ..

لكن السؤال اللي شاغلني ، ليه راحت من ذاكرتي كل حواديت رفعت ماعدا حدوتة الشيخ هلالي ، وأغلب الظن انها لمست حاجات كتير جوايا ، وحلمت ان اقابل جنية تغير مجرى حياتي ..

غيط الدرة اللي كان ياخد مننا أسبوع على الأقل أقدر أخلّي الجنية تعزقه في مدة بسيطة واتفرغ للعب والنوم ..

والزريبة اللي كانت تستغرق يوم كامل ونستلف فيه حمير العيلة كلها أقدر اقطعها واشيلها لوحدي وساعتها أمي واخواتي والعيلة يشيولوني على روسهم ويقولوا :

الولد دهِ مفيش منه ..

وفي الكورة العب مع أي فريق ان شالله يكون كحيان ضد أي فريق ان شالله يكون فريق البرازيل نفسه ، أجيب اجوان مالهاش عدد وكلها ملعوبة بحرفنة والناس كلها تهتف بإسمي ويشيلوني ويلفوا بيّا كل نواحي البلد ..

وفي المدرسة اكون الأول على طول الدوام ، وبدون أي مجهود وادخل كلية الطب وابقى دكتور وعندي عيادة ومستشفى والجنية تساعدني في علاج العيانين ، واتقدم لأجمل بنت في القرية ، وطبعا ساعتها يطيروا من الفرح ، ويبقى عندي دار افرنجي وفيها تليفزيون وراديو وحنفية مية..!

وأحلام كتير كتير في انتظاري لدجة ان حضّرت لها (المسلة) في جيبي ولكن للأسف ، ما قابلتش حمارة شكلها أبيض ف ابيض وف راسها خصلة شعر سودا ..!

الصديق الجديد

كنا ف الصف الرابع الابتدائي ..

وفي الأسابيع الأولى من الدراسة وفي إحدى الحصص دخل إلينا عبده افندي وفي يده أحد التلاميذ وأدخله الفصل وقدمه لنا ..

ده زميلكم الجديد عادل ، جاي محول م البندر ، أوعى حد منكم يزعله يابهايم ياولاد البهايم لاخرب بيت اللي خلفوه..

وضرب بعينه ف الفصل وقال لعادل وهو ممسك بإحدى يديه ويشاور باليد الأخرى :

اقعد جنب الولد ده ، هوّ طيب زيك ..

وترك عبده افندي زميلي الجديد عادل يجلس بجانبي وشكر مدرس الفصل وانصرف ..

وتأملت زميلي الجديد ولاحظت أن كل تلاميذ الفصل يفحصونه بأعينهم ..

كان نوعية جديدة من البشر لم تمر علينا من قبل ، مظهره العام يوحي إليك بأنه مثل الأطفال التي تظهر لنا في التليفزيون الوحيد الذي نشاهده في مركز شباب القرية ، وجه وسيم أملس ناعم لايبدو عليه أي أثر من الشمس التي أحرقت وجوهنا جميعا ، ولا بواقي جروح قديمة نتيجة الحروب الطاحنة التي تدور بيننا في الغيطان أو أثناء اللعب الليلي ، أو قشور وتشققات نتيجة أمراض الفقر وسوء التغذية التي كانت أغلبية التلاميذ تعاني منها ..

وكان شعره أسود داكن ناعم مصفف بطبيعته بطريقة رائعة .. وتنبعث منه رائحة عطرية جميلة ..

أما عن مظهره فكان أكثر روعة ..

يلبس بنطلون (بحزام جلد) وقميص ناصع البياض وجاكت قطيفة ، وكل مايلبسه نظيف ومكوي بشكل لم نعتده ولم نره من قبل ، ويلبس في رجله حذاء (جلد) ، وفي يده يلبس ساعة أنيقة ويضع كتبه في حقيبة جلد تفتح وتغلق بواسطة (مسك) ..

قارنت بين لبسه ولبسي فأحسست بالفرق الرهيب والشاسع بيني وبينه ، فقد كان لبسي عبارة عن بنطلون زفير تموين حزامه (أستك) داخلي مما يسمى (دكة) ، وقميص اشتراه ابويا من سوق الإثنين ..

الطريف أن هذا السوق كان مخصص لبيع وشراء البهائم ..!!

وألبس في رجلي حذاء كاوتش قماش قديم ، واضع كتبي في كيس قماش من نفس نوعية البنطلون .

وجميع ما ألبسه ليس نظيفا بالمرة ، فقد كانت به الكثير من البقع ومخلفات الحبر ..

ورغم ذلك كان معلمي الفصل يعتبروني الى الأمس من (أوجه) طلاب الفصل ، لأن معظم الطلاب كانوا يلبسون (جلابية) و (قبقاب) .. وكان غالبية الطلاب يجسدوني على هذا (النيولوك) ..!

جلست مثل زملائي منبهر بمظهر عادل وأكثر انبهارا بشخصيته وطريقته في الحديث وابتسامته العذبة الجذابة التي لاتفارقه .. أحسست أنه ليس من فصيلنا أو نحن كما وصفنا عبده افندي ..

وبدأنا نتجاذب الحديث وحاولت قدر المستطاع استخدام نفس أسلوبه والبعد قدر الإمكان عن الألفاظ والمترادفات التي تثبت عجرفتي ونشأتي الريفية ..

ومن أول لحظة صارت بيننا صداقة حميمية ، تحدث هو عن حياته في البندر وأسرته ولعبه ومدرسته وفضلت أنا الإستماع إليه لعدة أسباب ، أولهما الخوف من وقوعي في بعض الألفاظ التي تفضح صاحبها ، ثانيهما انبهاري الشديد بشخصيته وحسن كلامه ، ثالثهما أنه لايوجد في حياتي مايستحق أن أحكيه وأفتخر به أمام صديقي الجديد ،كل مافي حياتي الغيط والجاموسة وشيل الزريبة وضم الغلة وعزيق الأرض ..

حتى ألعابنا كانت كلها ذات أسماء تثير الإشمئزاز ، فمن غير المعقول أن يحدثني عن ألعاب مثل الليدو والبنج بونج والشطرنج وأنا أحدثه عن ام نمير ، و أمك في العشة ولاطارت ، و إبه خرا ..!!

وفي الفسحة كان موعد الغذاء ، أخرج صديقي من حقيبته كيس وسألني :

تاخذ لانشون ولا أو مليت ولاجبنة رومي ولا.....

فقاطعته :

شكرا ، أنا مش جعان .

ورغم أنني كنت في قمة جوعي وزاد جوعي أكثر وهو يأكل أمامي تلك المأكولات التي لم أسمع عنها من قبل ..

وكان من عادتي أن أضع بين كتبي (زوادة) يومية عبارة عن رغيفين بينهما (لبن خض) ، ويكون هذا هو غذائي اليومي ..

بالطبع لن أستطيع أن أظهر أمامه بهذه الصورة لهذا اليوم وجميع الأيام التالية ، وكانت حجتي أنني لم أتعود الأكل خارج البيت ..

ومرت الأيام وأصبح عادل هو محور اهتمام تلاميذ ومعلمي المدرسة .. لدرجة أن (الشيخ فتحي) وكان هو أهم شخصية في المدرسة لما يسببه من رعب وفزع للتلاميذ ، وكان قاموس طويل لاينتهي من

الشتائم ومعجم من الألفاظ الخارجة ومحتكر الفجاجة والمادة الخام للبذاءة ..!

و كان يسمي بعدة مسميات التصقت به في المدرسة مثل (امنا الغولة) و (ابو لهب) و (الشيخ هتلر) ....

أصبح الشيخ فتحي في وحود عادل يتكلم بمنتهى الحكمة معه ..

أزيّك يابن الأفاضل .. وازيّ فضيلة السيد الوالد لعله بخير .. وأخبار الأسرة الكريمة ..

ولكن إذا كان الكلام لأحد غيره يكون من نوعية ..

ياطور يابن الطور .. يانتن يابن النتن .. يانجس يابن النجس .. ياولاد الأنطاع .. يابني إنطح .. ياولاد ذوات الأربع ....

وأصبحت مهمة الشيخ فتحي الأولى في الفصل هي إضحاك عادل بأي شكل عن طريق إهانة أحد تلاميذ الفصل أو مجموعة من التلاميذ ، لايهم الوسيلة أو العدد ..

إنما الأهم أن يضحك عادل فيعتقد الشيخ فتحي أنه (خفيف الدم) فينتشي و يزيد في بذائته ..

أذكر أنه في أحد المرات كان هناك طالب يسمى عبدالله ، وكان كسلان وغبي ودائم النوم ، فوكزه الشيخ فتحي بالعصا قائلا :

أنا كنت باقول أيه ..؟

فانتفض الطالب يفرك عينيه ، فانهال عليه ضربا :

انطق .. قول يابن الكلب يابقرة ..

فصرخ عبدالله بأعلى صوته قائلا :

يابن الكلب يابقرة ..!!

فضحك عادل وضحك جميع الطلاب ، وهذا ماأغضب الشيخ فتحي فانهال على عبدالله بالعصا في جميع أجزاء جسمه حتى عاد للنوم مرة أخرى ..

لكن اعتقد أن هذا الاحترام الكبير لعادل يرجع إلى (بطن) الشيخ فتحي المشهود له (بطفاسته) و (فجعه) المعروف عنه ..

كان عادل يحضر له بعض الطعام والحلويات لأني سمعته أكثر من

مرة يقول له بعد انتهاء اليوم الدراسي :

بوس إيد الست الوالدة وقول لها ربنا مايحرمنا من فضلة خيرها ..

وتعمقت صداقتنا ، ودعاني لزيارة بيته لمساعدته في استذكار ما فاته من دروس ..

ودخلت بيته وشاهدت محتوياته وأصبت بحالة من الإحباط والتمرد بعد أن قارنت بين حياة عادل المحيطة به وحياتي ..

قارنت بين بيته النظيف المنسق الذي يحتوي الكثير من الأثاث والأجهزة والتحف والستائر والمكاتب التي يذاكر عليها وأخوته ، وبيتنا الذي لايحتوي على أي شيئ سوى الحصيرة والحمل والطبلية ..

قارنت بين أبوه الذي تظهر عليه ملامح الأرستقراطية لما يمتلك من (كرش) ضخم ويلبس نظارة تساعده في قراءة الصحف ، وأبي الفلاح النحيل الجسد الذي لايجيد أي شئ خارج نطاق الفلاحة ..

وأمه ذات البدن الأبيض المترهل التي قابلتني بابتسامة دافئة حين دخلت البيت وقدمني لها عادل :

دهـ صاحبي ياماما وحانذاكر مع بعض ..

قالت بوجه مبتسم وصوت كله عذوبة :

أهلا ياحبيبي ..

وأمي التي لاتكل من الصراخ والدعاء علينا طوال اليوم ..

قارنت بين معيشته وحسن الضيافة التي وجدتها ..

لأول مرة أعرف أن طعام الغذاء يكون به أصناف متعددة من لحوم وأرز وخضار ويليه نوع من الحلويات ثم مشروب ساخن ثم فاكهة ثم عصائر وذلك بشكل يومي ..

وبين طعامنا المكون من صنف وحيد فقط خالي من الدسم والبروتين وغير مكلف للأسرة ويكون من إنتاج الغيط أو الجاموسة ويشترط فيه أن يكون غير قابل للبيع ، أو ماتبقى من البيع بسب ردائته أو عدم مطابقته للمواصفات ، وإن بيع يكون هو أرخص الأصناف ..

ومع ذلك كانت أمي تشتكي من أفراطنا الزائد في الأكل ..

وبالطبع كانت جميع المشروبات والحلويات غير مدرجة بالمرة في حياتنا ..

وبدأت أتساءل في نفسي أسئلة شيطانية :

لماذا لم يخلقني الله مثل عادل...؟

ولماذا لا أعيش مثل معيشته حتى أكون فخورا بين أصدقائي ..؟

ولماذا لايكون لي بيتا مثل بيته ، وأبوين مثل أبويه ؟....

ولهذه الأسباب قررت ألا أدعوا صديقي لزيارة بيتنا رغم سؤاله أكثر من مرة واستفسارهِ عن مكان البيت وعدد أخوتي ولكني كنت أتهرب دائما منه ..

وفي إحدى الأيام تقرر اختيار أميناً للفصل ، وكان هذا الإختيار يتم بطريقة بدائية عجيبة ، ديكتاتورية في الإختيار وديمقراطية في التصويت ، فيختار المعلم عددا من الطلاب بنفسه ويبدأ في التصويت عليهم ..

واختار المعلم خمسة طلاب من بينهم أنا وعادل ..

وانتابني إحساس بأني سأخسر هذا المنصب وسيكسبه عادل ، وذلك للفروق الكبيرة بيننا ، فمن المؤكد أن جميع الطلاب سيختارونه ..

وبدأت أستعد لتقبل الهزيمة وأن أحتفي بصديقي أمين الفصل الجديد ، وأخفي حزني لضياع منصب الأمين مني الذي تقلدته في السنوات السابقة ..

وبدأ التصويت على كل واحد على حدة ..

وكانت المفاجأة أنني حصلت على أغلبية أصوات الفصل ، وكان عادل أول المهنئين بابتسامته العذبة ..

وفي قمة سعادتي دار سؤال في نفسي :

لماذا اختارني زملائي ولم يختاروا عادل ..؟

وعلى الفور تذكرت صورة أبي وأمي واكتشفت أن لهما امتيازات كثيرة ..

أبي فلاح بسيط روحه مرحة ومجامل للجميع ، ونادرا ماتجده وحده ، يجلس دائما مع الناس وليس له عداوات مع أحد ، قوي جدا رغم ضآلة جسده ، ويتحاكى الفلاحين عن بعض مظاهر قوته ..

منها أنه في أحد المرات كان يركب حمارته ووصل إلى (مسقى) للمياة فرفضت الحمارة عبور المسقى فنزل من عليها ورفعها بين ذراعيه وعبر بها المسقى ثم عاد وركبها مرة أخرى ..

وأمي أيضا لها امتيازات كثيرة لا تقل عن أبي ، محبوبة بين جيرانها تساعدهم ويساعدونها في كل شيء ..

ومن المؤكد أنني اكتسبت منهما كثيراً من الصفات الحسنة التي جعلت مني طالبا متفوقاً وجعلت زملائي يفضلونني عن عادل ..

وفي طريق عودتنا من المدرسة سألني عادل :

تحب نحتفل فين بانتصارك اليوم يابطل ..؟

قلت له في شموخ وكبرياء :

تعالى في البيت عندنا ..!

وزة عاشوره

كنا أسرة من الأسر الكبيرة العدد القليلة الموارد ..

ثلاثة متزوجون واثنان على وشك الزواج ، وأنا وأختي الوحيدة لانزال صغارا دون الثامنة ، وأمي هي الآمر الناهي في الدار بعد وفاة أبويا بمساعدة أخويا الكبير ، وهو قائد حلقة من حلقات إحدى الطرق الصوفية ..

وكانت الفلاحة هي العمل الأساسي والوحيد اللي تقوم عليه الأسرة ..

نزرع الأرض درة في الصيف لاجل ناكل منه طول السنة ، ونزرع في الشتا برسيم تاكل منه البهايم علشان نبيع السمنة وينكسي أهل الدار بفلوسها ..

وناكل العيش الدرة بمخلفات السمنة وهي :

(لبن خض منذوع الدسم والعافية) و (مش مدوّد لاذع الطعم) و (جبنة قريش ليس لها طعم أو لون أوريحة) ..

أوناكل العيش بأي شئ من إنتاج الغيط (بامية ..قرع ..ملوخية .. رجلة) .. وطبعا كله قرديحي ..

يعني باختصار أكلنا كله انتاج محلي مستخلص م الغيط والجاموسة ..

وكان العيش داخل في كل الوجبات ، وهوالشغل الشاغل للنسوان في الدّار ، يوم طحين والتاني عجين والتالت خبيز ، ثم تعود الكرّة مرة تانية كأنهم دايرين في طاحونة ..

وطبعا اللحمة كانت من الأشياء الفلكلورية لنا ، ممكن يمر العام واحنا بس نسمع عنها حكايات وأساطير ..

العمدة دبح دكر بط لأن عندهِ عزومة ، فلان افندي راجع من المركز شايل لفة فيها رطلين لحم ، ريحة المرقة هابة من دار شيخ البلد وريش الفرخة اترمى قدّام دارهِ ..

وفجأة لاح شعاع من نور اللحمة لنا ، قررت امي تربية وزة ودبحها في يوم عاشورة ..

وكبرت الوزة بينا وبقت أهم وأغلى فرد في الأسرة ، الكل داخل خارج يبص لها بإعجاب ويطمئن على أكلها وشربها .

وكان مسموح لها كل شيء ، تقضي حاجتها في أي مكان من غير ماحد يقرف منها ، صوتها المزعج في أي وقت كأنه لحن من أجمل المقامات الموسيقية ..

وكنا نلعب أنا واختي معاها في الدار ونشيلها ونحلم واحنا بناكلها رغم ان كان يتم توزيع اللحوم توزيع فئوي يفتقد إلى العدل ..

فتكون الأجزاء الرئيسية مثل الصدر ، الوراك ، الكتف ، للرجال على أساس انهم العزوة اللي تتفتخر بها الدار ، وهما الشقيانين العرقانين والسبب في وجود رغيف العيش ، يبقى هما ياكلوا أغلب لحوم الوزة واللي يتبقى من أطراف وعظم للنسوان ..

وكان نصيبي لايتعدى الجناح أو الرقبة ، ونصيب اختي إما الراس أو الرجل أو الباقي من عظمها بعد الرجالة ماتاكل وتشبع ..

قرّب يوم عاشورة وتقلت الوزة لدرجة ان كنت اشيلها بصعوبة ، وكبر الحلم المنشود لنا ، كانت امي تخرجني من أجمل لحظات اللعب في الطريق لأي شيء يخص وزة عاشوزة .. أكلها .. شربها .. وآخر اليوم تقول : روح جيبها من الترعة ..

وبقت الوزة هي محور اهتمام جميع أفراد الدار وسرقت كل الأضواء من الجاموسة ..

وف يوم مشئوم صحيت الدار كلها على خبرمفزع :

الوزة فرفرت وامي لحقتها بالسكينة ..

وكان فيه فترة زمنية بين فرفرة الوزة ودبحها ، وثار جدل بينا ..

ياترى الوزة ماتت قبل الدبح ولابعده ..؟

ودخلنا في موضوع الحلال والحرام ..

واتجهت الأسرة لثلاث أشخاص لمعرفة فتواهم في مسألة أكل لحم الوزة ..

الأول (الشيخ حسنين) شيخ كتاب القرية وهو خال امي ..

رغم انه كان (دني) ومشهور بطفاسته ولسانه متبري منه ومطلّع عين اللي خلفونا في الكتاب وعندهِ قاموس شتايم ماينتهيش من نوعية .. يابهايم ياولاد البهايم .. ياجاموس ابيض .. يا ولاد الزنا ..

لكن امي كانت تعتبرهِ من أولياء الله الصالحين ..

والتاني (الشيخ غانم) شيخ الطريقة ..

رغم كان (فلاتي) وديله ينجس تراب الأرض وغول نسوان ، لكن كان اخويا الكبير يعتبرهِ انه ملاك حاطط بجناحاته على الأرض ، وان اللي حايدخل الجنة هم اتباع الشيخ غانم وبس ..

والتالت (الشيخ عبدالموجود) ، وهو شقيق زوجة أخويا الأوسط ..

رغم انه كان طالب فاشل في الأزهر لكن اخويا ومراته كانوا يعتبروهِ أعلم أهل الأرض ويوحى إليه من السما ..

راحوا الثلاثة كل واحد لشيخه ياخد منه الفتوى ورجعوا بعد ساعة ، واجتمعت الدار لبحث مصير الوزة ، وعرض كل واحد نص الفتوة اللي خدها من شيخه ..

قالت أمي على لسان الشيخ حسنين :

أكل لحم الوزة حرام حرام وفيها معصية لأمر الله ورسوله ، وان زي ماربنا رزقنا الوزة ان شاء الله حايعوضنا باكبر منها !!..

وقال أخويا الكبير على لسان الشيخ غانم :

من أكل لحم الوزة تكون بطنه نجسة ولاتقبل صلاته أربعين يوما ولاينظر الله إليه يوم القيامة ..

وقالت زوجة اخويا على لسان الشيخ عبدالموجود :

من أكل لحم الوزة فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه و سلم ، لأن هناك شك أنها ميتة ومن أكل الميتة كمن أكل لحم الخنزير وتشهد الوزة عليه يوم القيامة ..

أجمع التلاتة على تحريم لحم الوزة ، ولو أفتوا في قضية جهادية تخص المسلمين لاختلفوا ، كأن حد مسلّطهم علينا ولا بينهم وبين الوزة تار بايت ..

وطبعا بعد الفتاوي قررت الدار بإجماع الكبار رجالة ونسوان رمي الوزة في الترعة وربنا يعوض علينا ..

وانصرفوا للغيط وسابوا مهمة التخلص من الوزة لامي ..

طبعا أنا واختي مش متخيلين ان الحلم راح قعدنا نصرخ ..

عايزين ناكل الوزة ..

حطت امي الوزة في القفّة علشان تاخدها ترميها في الترعة ومسكنا في القفة مستموتين عليها واحنا بنصرخ :

عايزين ناكل الوزة ..

واتلمت الناس علينا وامي بتجر القفة واحنا متزحّفين وراها ومتعلقين في القفة زي ما تعلق محمد ابو سويلم بأرضه في أكبر مشهد مؤثر في تاريخ السينما ..

وظهر المنقذ لنا ، المتمرد على كل أشكال الجهل والتخلف ، ابويا عثمان ..

وبعد ماعرف من امي كل الحكاية قال لها :

ياشيخة كلوا الوزة ان شالله تكون ميتة ، اهي ارحم من المش ، وسيبك بقى من كلام خالك اللي شايل بطنه وداير يفتي على الطبالي ..!! وعامل إنف وهو ياكل بقرة بخراها ..!

والشيخ غانم كمان ، خليه في الفتة والموالد والنسوان بتاعته ..

وعبدالموجود اللي عامل فيها ابن حنبل دهـ حدّ ياخد منه فتوى .. شفته امبارح كان جامع شوية ناس مش لاقيين الدقة والفقر مطلع عنيهم وبيديهم درس في الجامع عن الخمر والميسر ، وهما بيبيعوا شاي التموين ..

ولما يئس ابويا عثمان من إقناع امي قال لها :

أنا عارف انكم وش فقر ، روحي اسألي (الشيخ عبدالقادر) هوّ صحيح اللي يقدر يفيدك ..

وراحت امي للشيخ عبد القادر وانا واختي معاها وحكت الحكاية كلها ، وكان الرجل يتميز بالحكمة والاعتدال قال :

طالما فيه شك انك دبحتي الوزة يبقى كليها وان شاء الله حلال أكلها ..

قالت أمي :

بس ولادي الكبار رفضوا ياكلوها ، وكمان حلفوا عليها بالطلاق ..

وكان الرجل ذكي وواسع البصيرة و فهم الرسالة ، قال لها :

عندك عيال صغيرة ياحاجة .. ؟

قالت : هما اللي قدّامك وحتى بيعيطوا عايزين ياكلوها ..

قال لها : خلاص ياكلوها وهما لاعليهم ذنب ولا حايقعوا في يمين طلاق ، بس بلاش الكبار ياكلوا منها ..!!

رجعنا مع امي وطبخت الوزة و قعدنا تلات ايام ناكل منها انا واختي .. وشفنا لأول مرة الوراك والصدر والطبلة ، اتمنيت اكبر بسرعة ويبقى نصيبي زي اخواتي ..

أما اختي ودعتهم لأجل غير مسمى وقالت :

أنا لما اموت واروح الجنة أطلب من ربنا وزة زي دي ..

رحم الله الشيخ عبدالقادر عبدالتواب ..

حمام برطوشي

صلوا على النبي ..

مرة واحد تمرجي نصّاب اسمه عجلان الدكش قرر يفتح عيادة لعلاج الناس ، وشاف ان أفضل وسيلة لكسب قلوب الناس وعطفهم وفلوسهم هي استخدام الدين ..

فتح أوضة مخصوصة ف دارهِ و قال :

أنا حاعالج الناس بالقرآن والسنة ..

واعتبر ان جميع الأمراض اللي بتصيب الناس هي مس من الشيطان ..!

وكان كل ما يجيله حد مريض يحط إيدهِ على مكان الوجع و يقول بصوت مصحوب برعشة وتذلل :

أعود بالله من الشيطان الرجيم ..

ويتمتم ببعض الكلام اللي كله لعن و سب في الشيطان ..

والمريض ان شفي يبقى خير وبركة ، وان ماحصلش يبقى الشيطان لسّه راكبه ومحتاج جلسات تانية . .

قامت البلد كلها اتحولت عليه وكله بقى يكشف عندهِ من جميع الأجناس وجميع الأمراض ، وبدأت الناس كلها تتحاكى عنه وعن شطارته وتقواهِ و ورعه و سرّهِ الباتع ...

وبدأوا يطلقوا عليه بعض التسميات مثل :

الشيخ عجلان .. المبروك .. البركة .. أبو إيد بلسم .. أبو سر باتع ...

قام بقى الشيطان اتجنن وشق هدومه وركبه ستميت عفريت ..

بقى النتن ابو ديل نجس دا هو قاعد طول النهار يتكسّب على قفايا وهوّ أوسخ وأنجس مني ، طيب يا عجلان الكلب ..!!

قام الشيطان رسم نفسه على هيئة تمرجي شكله نضيف ووسيم ومقمع ولابس بالطو آخر شياكة ودخل عليه قال له :

سلامو عليكو ..

قاله له : وعليكو م السلام ..

قال له : ممكن تشغلني عندك ..

بص له تاني بتمعن وإعجاب بمنظرهِ و قال له :

انت بتعرف في شغلتنا ..

قال له : جرّبني ..

ولسه ماكملش الكلمة دخل عليه شيطان على هيئة مريض ، قام التمرجي قال له :

اتفضّل ورّيني شطارتك ..

قال له : حاضر ..

راح نايمه على الكنبة وقال له : بتشتكي من أيه .. ؟

قال له : ركبي بتصرخ عليا ..

قال له : بسيطة ..

راح مطلع علبة من جيب البالطو (والتمرجي واقف يراقبه من بعيد لبعيد) ، ولحس حتة عجينة بصباعه ومشاها مرتين على رجل الزبون وقال له : بالشفا..!

ولسه عجلان حايتكلم فوجئ بالزبون قايم منشكح يقول :

أيه دهـ ، أنا مش حاسس بأي وجع ، تسلم إيدك ..

و راح للتمرجي قال له : عايز مني كام ..

قال له : خمسة جنيه ..

قال له : خمسة بس .. لأ .. عشرة جنيه واتنين جنيه بقشيش للأسطى العسل دهـ ..

وانصرف الزبون وترك التمرجي في حالة تعجب ..

شوية ودخل شيطان تاني على هيئة مريض راح حاطه على الكنبة وقال له : بتشتكي من أيه .. ؟

قال له : وسطي تاعبني لأن عندي غضروف ..

قال له : بسيطة ..

راح مطلّع علبة تانية ولحس بصباعه منها ومشّى مرتين على مكان الوجع وقال له : بالشفا ..!

قام المريض يرقص من الفرحة ويقول :

أيه ياعم دا انت إيدك تتلف ف حرير ، أنا مش حاسس بأي وجع .. وراح للتمرجي قال له : عايز مني كام ..

قال : عشرة جنيه ..

قال له : عشرة جنيه بس ..!

آدي عشرين جنيه أهي وخمسة جنيه بقشيش للراجل الجميل اللي معاك واحجز لي عندك الجمعة اللي جاية ..

وترك التمرجي مذهول أكتر وأكتر ..

هي أيه الحكاية ، والله و باضت لك في القفص يا عجلان يابن ستيتة ، دا باين عليه كنز واتفتح لك . .

شوية ودخل شيطان تالت ، قعّدهم على الكنبة وقال له :

بتشتكي من أيه .. ؟

قال له : عنيّه مش قادر اشوف بيهم ..

قال له : بسيطة .. !!

مد إيده ف جيبه طلع قزازة فيها سائل لونه غريب حط له نقطة في العين اليمين ونقطة في الشمال وقال له : بالشفا ..

قام الراجل يصرخ من الفرحة ، أنا نظري رجعلي تاني ، أنا مش مصدق نفسي ..

وراح للتمرجي قال له : عايز مني كام ..؟

قال له : عشرين جنيه ..

قال له : عشرين جنيه بس.. ! .. دانت باين عليك راجل طيب ، العشرين جنيه دول بقشيش للراجل الجوهرة اللي معاك ، وخد مني الخمسين جنيه دول ، وحاروح اجيب عيالي لأن كلنا عندنا نفس المرض ..

و خرج و ساب صاحبنا في حالة جنان ..

معقول اللي بيحصل ، أنا أكيد باحلم ..!

وبص للشيطان قال له :

أنت مين ، وأيه ياعم حكايتك ، واتعلّمت كل دهم فين ..؟

قال : أنا اسمي شلبي البرطوشي ، من قبيلة براطش ، ودي قبيلة أصلها من بلاد المغرب وممتدة في أغلب البلاد الإسلامية و كلنا تقريبا شغالين نفس الشغلانة دي ..

قال له : أجدع ناس ، بس عايز الصراحة ، الطب باين عليه متقدم جداً عندكم ..

قال له : انت لسة شفت حاجة ، أنا أول زبون جديد يدخل علينا حاعمل له حمّام (برطوشي)..!

ولسة حايستفسر منه عن معنى حمّام برطوشي دخل شيطان على هيئة رجل عجوز ، قعدهـ على الكنبة و قال له : بتشتكي من أيه ..؟

قال له : جميع أمراض الشيخوخة ..

قال له : بسيطة .. !!

نيّمه على الكنبة وراح مادد إيدهـ في جيب سحري تحت البالطو طلّع مشرط ، و قطع رقبة المريض فصل راسه و خدها و دخل الحمّام ..

شوية و خرج من الحمّام تاني حط الراس على الجسم و قال للراجل : بالشفا ..!!

قام الراجل يتنطط ويصرخ :

معقولة .. !! .. أنا مش حاسس بأي وجع في جسمي ، أنا صغرت تلاتين سنة ، انت جوهرة ، انت كنز ..

وراح للتمرجي قال له : عايز مني كام ..

قال له : ميت جنيه ..

قال له : ميت جنيه بس ، انت مش عارف قيمة نفسك ولا قيمة الراجل الجميل اللي شغال معاك دا هو ..

خد ياعم خمس ميت جنيه ومتين بقشيش للراجل الحلو دهـ .. وحاروح اجيبلك عيلتي كلها ..

وتركه في حالة جنان رسمي ..

معقول اللي بيحصل ، أناكسبت في نص ساعة أكتر من مكسبي في سنة بحالها .. !!

وبص لشلبي قال له :

أيه ياعم الحلاوة دي ..؟ معقول تشيل راس الراجل وترجع تركبها تاني ، دا سحر ولا شغل عفاريت ؟

قال له :

لاسحر ولاشغل عفاريت ، السر كله في المشرط دهـ ، ودهـ مش موجود منه في العالم غير اتنين بس ، واحد في المغرب واللي انت شايفه ، وهوّ اللي بيعمل كل المعجزات اللي انت شايفها ، وبعد إذنك أروح اريّح ساعتين وارجع لك لأني راجع من سفر ..

قال له : باقول لك أيه يا شلبي ياخويا ، عمدة البلد وكبيرها عيان وباعتلي علشان اعالجه في البيت ، سلّفني المشرط لحد ما ترجع أصلي عايز اعمل للعمدة حمّام برطوشي .. !

قال له : أهو دا اللي مش ممكن أبدا ، هو انا اتجننت علشان ادّيك المشرط ، أنا لو ابويا نفسه خرج من الطرب و طلبه مش ممكن اديه المشرط ..

قول قعد عجلان التمرجي يتوسل له لغاية مانشف ريقه وريق اللي خلّفوه ..

وأخيرا حنّ عليه وقال له :

أنت صعبت عليا وانا ماقدرش ازعلك لأن باين عليك راجل طيب ، بس حافظ عليه زي عنيك ..

قال له : حاضر ..

خد صاحبنا المشرط وقرر يروح يعمل حمّام برطوشي للعمدة وطقت في دماغة فكرة ..

قال في عقل باله : أنا آخد معايا جمع من حبايبي كبراء البلد وأعيانها واعمل العملية دي في حضورهم علشان يصبح اسمي زي الطبل في بلدنا والبلاد المجاورة ..

يا سلام يا عجلان عليك وعلى أفكارك ..!!

راح عجلان وصحبته دوّار العمدة ، وكان هناك جمع تاني من البشر وقرر يعمل العملية قدّامهم ..

خلّوا بالكم ياخواننا ، العملية دي مابعملهاش غير للحبايب والناس الأكابر بس ..

راح مثبّت العمدة على الكرسي وطلّع المشرط ، وكله يسمي و يصلي على النبي ، وهب طير رقبة العمدة و خدها و دخل الحمّام بسرعة ..

الناس شافت المنظر ودب الصوات :

الحقونا يا ناس ، الحقونا ياخلق هووووه ، عجلان التمرجي دبح العمدة ....

خرج صاحبنا من الحمّام علشان يركب الراس على جسم العمدة ، فوجئ بالهيصة والهيلمان والصوات راح مزعق بأعلى صوته :

أيه الهرج والمرج اللي انتو عاملينه ، كلكم حاتعملوا حمّام برطوشي بس واحد واحد ، وبالشفا مقدما..!

الخميس الحزين

كان اليوم يوحي في بدايته انه يوم سعيد جداً لعدة أسباب ..

السبب الأول يتعلق بالمدرسة ، مدحني مفتش الرياضات في الفصل بعد حل مسألة صعبة ، وبناء على ذلك شكرني مدرسي لأني (بيّضت وشّه) مع المفتش ..

والسبب الثاني ، بعد المدرسة وفي نهاية اليوم اتفقت مع طلاب الفصل نلعب كلنا بعد العصر ماتش كورة ..

لكن كان فيه المشكلة الأبدية اللي كانت عاملة زي مسمار جحا في حياتي ..

البهايم في الغيط لازم تاكل العصر وكنت أنا واخويا مكلّفين من ابويا بأكل البهايم ..

وعلشان احل المشكلة اتفقت مع اخويا احشّ نصيبي من البرسيم بعد المدرسة واتفرغ بعدها للماتش مع زملائي ..

والسبب الثالث والأهم ان اليوم كان الخميس ، وكانت امي طابخة دكر بط على العشا ..

ومش أي دكر بط ، كان كبير وتقيل وامي قالت فيه قصايد و معلقات ..

وكانت امي تقيم احتفالية بين الحين والآخر وتتباهى اننا من البيوت القليلة جداً اللي تاكل (الزفر) كل أسبوع ..

وكانت تعدد :

دار فلان ياكلوها مرة كل شهر ، ودار علان كل شهرين ، ودار ماعرفش أيه ف المواسم بس ، وتحكي عن زمانها ان كانوا ياكلوها كل سنة مرة ، وتحسدنا على العز والأبهة وخصوصا كل يوم خميس ..

وكان مقابل أكل الظفر يوم الخميس نقضي تقريبا باقي الأسبوع (على ما قسم) ، واذا واحد اعترض على الأكل يوم الجمعة أو السبت أو الحد تقول امي :

أنت لسة (طارش) لحمة يوم الخميس ..

واذا اعترض على الأكل يوم الأثنين أو الثلات أو الأربع تقول :

خلاص الخميس جاي وحاتطرش لحمة ، وتختمها با لكلمة المعتادة :

(انت مش عايز تاكل طقّة هزق أبداً) ..

وكمان كان من دواعي افتخار امي إذا واحد طلب منها الأكل تقول :

الحمد لله مفيش عندنا مكان بيتقفل ..

وطبعا كانت تقصد ان في بعض البيوت تقوم الأم بقفل محل به خزين البيت من عيش وجبنة ومش وخلافه ، أما احنا عندنا (أوبن بوفيه) ..

لكن الغريب ان امي كانت دايما تشتكي من افراطنا في الأكل من نوعية ، أنتو (الجبح) جاكم .. أنتو بطنكم اتخرمت .. انتو بتاكلو ا في آخر زادكم ..

ولما واحد يشتكي ان حاجة بتوجعه .. بطنه .. رجله .. عنيه .. يكون ردها وتشخيصها المبدئي :

من (الحشر) اللي عمال بتحشرهـ طول اليوم .. !!

المهم نفذت اتفاقي مع اخويا وحشّيت نصيبي من البرسيم واكتر شوية قبل العصر ولعبت الماتش مع زمايلي وفزنا و سجلت اجوان كتير ..

رجعت الدار بعد كل الإنجازات اللي عملتها و انا طاير واحلق في السما ومنتظر مسك الختام في اليوم ، تتويج الأسبوع بعد ماطلعت روحنا من المش واللبن الخض والأكل (العلى ماقسم) ، نايي ف دكر البط مع كلمات الثناء من ابويا ..

لكن أول ما دخلت الدار وقابلني ابويا توقعت انه أكيد عرف نجاحاتي الكتير ، وأكيد حاياخدني في حضنه مكافأة لي على كل الإنجازات الكبيرة اللي انجزتها ..

لكنه قام إيده و لطشني قلم مفاجئ كوّمني في الأرض ، لأن ابويا كانت عليه إيد اتقل من مكوة الرجل ..

و حضرت امي بسرعة بعد ماسمعت صوت انفجار القلم في وشي ومعاه حبة شتايم باسمها تسأل : أيه الحكاية ..؟

وكانت الحكاية ان ابويا رجع من مشوارهِ العصر راح الغيط لقى اخويا بيحش البرسيم لوحده ، وكان اخويا مشهور بالخبث واللبط سأله ابويا : فين اخوك .. ؟

قال له : بيلعب كورة ..

وكان ابويا قليل الكلام وما يحبش يفهم تفاصيل أي موضوع لدرجة ان أحيانا تحس انه كسلان يتكلم ..

فهم ابويا من كلام اخويا اني قصّرت لاسمح الله في الواجب المقدس نحو معالي الجاموسة ، ودي كانت عند ابويا تهمة كبيرة تصل لمرحلة الخيانة العظمى التي لا تقبل التسامح او التهاون ..

وقت العشا اتلمت الأسرة في المندرة على الطبلية وحضر الدكر البط المنتظر وماحضرتش انا ، قعدت في أبعد ركن و راسي بين رجلي ابكي بحرقة صامتة ..

وبدأ الأكل ونادت عليا امي ما رديتش ، وقررت الدخول في إضراب عن العشا ، واتوسلت امي كتير والجميع نازلين طحن في الأكل ..

لكني صممت على مواصلة الإضراب ..

اتوقفت امي عن التوسلات وانضمت ليهم وقعدت (مقرفص) منزوي في الركن باسمع صوت المعالق بتخبط وصوت مضغ الأكل وانا بابكي بحرقة ..

المشكلة ان ابويا كان قليل الضرب لنا يعني كل فترة كبيرة يضرب واحد ويكون له سبب كبير علشان كده الضرب يسيب أثر كبير ..

أما انا اليوم ماقصّرتش في أي شئ وخدت وسام من المدرسة ، والجاموسة اكلت وانبسطت ، وفي النهاية انضربت و حايضيع عليا أهم وجبة في الأسبوع ..

واتخيلت دكر البط اللي اللي بياكلوه وانا مصاريني بتتقطع من الجوع ، اتمنيت اروح معاهم للطبلية لكن كرامتي منعتني ، محتاج سبب قوي ، ابويا يتحايل عليا شوية من بتوع امي ، لكنه احتمال صعب جدا ..

وفجأة قالت امي :

المدرس النهاردة قال له انت أحسن واحد في الفصل ، وان شاء الله حاتبقى دكتور ..

سكت ابويا .. قالت لاخويا :

انت سبب المصايب كلها ، مش هو حشّ البرسيم للجاموسة وقال لك حايلعب مع زمايله ..

قال لها : وانا مالي ابويا ماسألنيش .. !

نادت عليا امي : قوم ياوله ابوك بيحبك علشان انت شاطر في المدرسة ، و حتى الناس كلها بتحبك عن اخوك لأنك طيب ..

بدأت بعد كلمتين امي الين شوية ، وقررت ارجع للطبلية و دكر البط بعد كمان كلمتين حلوين من امي أو أي شئ من ابويا ..

قالت امي :انت الحلو اللي بتسمع كلامي وعمرك ماغضبت على الأكل ..

رفعت راسي من بين إيدي ورجلي وقررت ارجع على استحياء للطبلية ..

لكن اخويا رجع تاني يمارس خبثه ، وأول مالمحني باحاول اقرب من الطبلية قال لابويا :

اتحايل عليه يابا علشان ياكل ..

رد ابويا : ان شالله ماطفح .. !

وكانت الكلمة دي اللي ربنا قدرهـ عليها ، كانت كفيلة بأني ارجع للوضع الأول واحط راسي بين إيدي ورجلي وقرار قاطع ألا أعود للطبلية ..

ولما يئست امي قالت لابويا :

شيل نايبه ياكله في أي وقت ..

وشالت امي الحلة وفيها نايي في القاعة ودخلنا كلنا ننام ، وكانت ليلة سودهـ .. !

عيني ماشافت النوم طول الليل ..

الحسرة والغيظ وخيبة الأمل من جهة ، ومصاريني اللي بتهبهب من الجوع من جهة تانية ، والبراغيت اللي نشطت نشاط غير عادي في الليلة دي من جهة تالتة ، والحلة اللي في بحراية القاعة و بيني و بينها متر واحد ومش قادر اوصل لها ..

وفجأة ف عز الليل والكل بيسبح في النوم قام اخويا كشف الحلة وانا مراقبه ..

كحيت واتنحنحت واتقلبت ف مكاني علشان يحس بيا أو أي واحد

يصحى ينقذ نايي في دكر البط لأني في حالة خصام مع الدار كلها ..

لكن مفيش فايدة كأنهم أهل الكهف ..

خد باقي دكر البط وخرج من القاعة شمطه برهه ورمى العضم وساب الحلة مكشوفة و رجع نام تاني ..

طبعا امي صحيت رقعت بالصوت ، و بانت القضية على ان القطة دخلت خدت نايي من الحلة والدليل على كدهه العضم اللي مرمي على الأرض ..

و ف قعدة الفطار اجتمعت الأسرة كلها وانا لسّه مضرب عن الأكل ..

وفجأة ظهرت القطة البريئة و قرّبت منهم زي كل يوم تستعطفهم ان واحد يديها لقمة أو حبة طبيخ بايت ..

و ماكان من ابويا الا انه قال لها :

انتي لسه ما شبعتيش ..

وكان نصيبها انه رماها (بالبلغة) طيرتها في الهوا مترين قدّام ..

قلت في نفسي وانا لسه مضرب عن الأكل جوهه القاعة لاخويا أس البلاوي :

الله ينكد عليك زي ما نكدت عليا ، وعلى القطة ..!!

حق البقرة

ابويا حمدان البسطاوي فلاح النيل الشقيان الجعان زنقت الدنيا معاه وفضلت تزنق لحد ما وصل لآخر وأصعب قرار ، قرر انه يبيع البقرة !!

والفلاح مجرد ما يفكر انه يبيع البقرة يبقى قرر الانتحار ، لأن البقرة في بيت الفلاح هي المواطن رقم واحد لأنها المصدر الرئيسي للدخل ..

ابويا حمدان ماشي على السكة الزراعية بعد مناحة توديع للبقرة من مراته وعياله منكس راسه وباصص في الأرض وساحب البقرة وراه ، والاتنين مشكلين موكب جنائزي حزين وضئيل وصامت ..

وفجأة ينشق غيط الدرة عن شخص حرامي طويل عريض هجم على ابويا حمدان ونتش السلبة منه بحركة عنيفه و مفاجئة ..

بص ابويا حمدان لجسمه الهزيل وكأنه ببيقيسه وبص للشحط اللي قدامه وحسبها في دماغه لقاها ما تنفعش عافية ، فقرر يناور ..!!

وبسرعة راح راسم على وشه ابتسامة ودودة وقال للحرامي بصوت مشحون بالمودة :

انت نتشت السلبة من إيدي ليه ياعم ؟

رد الحرامي بحسم : رايح فين ؟

قال له : رايح ابيع البقرة في السوق وعلى رأي المثل ، قالوا ياجحا أيه اللي رماك على المر قال اللي امر منه ..

ولأنه ماعرفش يقرا رد فعل كلامه على ملامح الحرامي الميتة قال بسرعة :

وعلى العموم أنا مش زعلان ولا حاجة ، كل اللي يجيبه ربنا كويس ، واللي ييجي في الريش بقشيش ، وسيب بقى السلبة ..!

قال له استنى اما اخلص كلامي يا حيوان ، وحاتبيع البقرة بكام ؟

قال بلهجة ودودة لدرجة النفاق : ودا برضه سؤال يا محترم ؟

وكان حايبتدي يسخن لولا انه ضغط على أعصابه وكمّل وهو مبتسم :

انا قصدي يعني المسائل دي تبقى بختك يابو بخيت ، لأن عدم المؤاخذة السوق مالوش كبير ، يعني زي ماتقول جنابك كدة عبارة عن بطيخة مقفولة وانت بقى وحظك ، تطلع حمرا تطلع قرعة ، كل حي ونصيبه ، إنما والله فرصة سعيدة اللي شفناك ، وهات بقى السلبة لو سمحت .. !

وبص على وش الحرامي يشوف تأثيركلامه لقاه بيبتسم فما صدقش عينه ، وزادت دهشته أكتر لما لقى الحرامي بيطلّع من جيبه علبة سجاير وبيمدها له ويقول له :

خد دول عفرهم في الطريق ، سيجارتين هما كل اللي حيلتي ..

ضحك ابويا حمدان بارتياح وقال :

الحمد لله ربنا تايب على العرايا من غسيل الصابون ، كيوف أيه يابن والدي ، مش لما نبقى نلقى العيش الحاف الأول ، عموما نشكر جنابك على كل حال ، ومن فضلك ، سيب بقى السلبة ..!

اختفت الإبتسامة من على ملامح الحرامي وبدأ وشه يضرب بصفار وعنيه تضرب بحمار و فضل مادد إيده بعلبة السجاير في وش ابويا

حمدان اللي بسرعة فهم الرسالة ، فمد إيده ياخدعلبة السجاير وهو بيقول :

لكن هدية الحبيب لاتهدى ولاترد ، وبيني وبينك بقى ، ماهو الدخان دهـ له فوايد برضه ، أقل مافيها ، أهو بيحرق فضلات الأكل في المعدة (وضحك باستظراف وكمل) :

دهـ في حالة ماإذا النفر مننا لا سمح الله حصل له أكل ، وعلى العموم يامولانا هدية مقبولة والنبي ذات نفسه قبل الهدية وسيب بقى السلبة لو سمحت .. !

قاله مش حاسيب غير لما تقول لي : لو ربنا سهلها معاك وبعت البقرة حاتجيب لي أيه ..؟

ابويا حمدان من شدة غيظه فقد القدرة على تقييم الموقف فقال بمايشبه الإندفاع :

أما دي عبارة ياولاد ، وأيه اللي يخليني أجيب لك انت بالذات؟ واشمعنى يعني .....

وكان لسه حايسترسل لولا انه لمح شيء غريب في إيد الحرامي ، ولما دقق اكتشف انه فرفر ، راح ضاحك وهو بيقول :

يوهـ يوهـ يوهـ ، دانت باين عليك خدتها جد ، ياراجل داني باهزر معاك ، طب وهو انت لاقدر الله لو جيت على عيل م العيال حاعزهـ عنك..؟ وعليا اليمين لاتقول لي انت نفسك في أيه واني اجيبهولك م العين دي قبل العين دي ، دانت وشك سمح و اصطباحتك باين عليها نادية ياراجل ياطيب ..

ولأول مرة ينفعل الحرامي وقال لابويا حمدان :

وانت راجل نطع وخسع وطماع ونجس ونتن كمان ..

قال له :كتر ألف خيرك وتشكر على كل حال أنا بس باقول .....

قال له : لاتقول ولاتعيد ، انت تجيب معاك هدية على ذوقك لو ربنا كرمك و بعت البقرة ..

قال له : بس كدة ، غالي والطلب رخيص ، بس سيب بقى السلبة الله لايسيئك ..!

وساب الحرامي السلبة ، وسحب ابويا حمدان بقرته وراح بيها السوق وسلّمها بإيدة للتاجر وخد بدالها شوية ورق اخضر وعليه رسومات حكومية مافهمش منها حاجة ، كل اللي فهمه ان شوية الورق دول بلغة السوق اسمهم ألفين جنيه ..

مشي يحسب فيهم ويتحسبن لقاهم مايحلوش المشكلة ، إنما ممكن يأجّلوها ، باس إيدة وش وضهر وقال في عقل باله :

وماله ياواد يا حمدان ، أهو لاعور احسن م لاعمى ووقت الله يبقى يعين الله ويخلق في قضاة ألف رحمة ..

وفجأة ينشق غيط الدرة عن الحرامي اياه اللي أول ماشاف ابويا حمدان راجع من غير البقرة لمعت عنيه بالفرحة وراح فاتح دراعاته وهو بيقول :

بالحضن ياحبيبي ..

ابويا حمدان قال في عقل باله :

أنا برضه حبيبك يابن الصرمة ياحرامي ، دانت عايز تاكلني لحم وترميني عضم ..

قال له : مبروك بعت البقرة ..

قال له : الحمد لله على كل حال ..

قال له : وبعت البقرة بكام ان شاء الله ؟

قال له : بنصيبها بقى !! ..

راح الحرامي طابق في زمارة ابويا حمدان وقال له :

ياتقول بعتها بكام ياحاطلّع روحك من كحكوحك ..

واضطر ابويا حمدان يشتري عمره ويقول الحقيقة ..

ورجع الحرامي يضحك ويلاطفه وهو بيسأله :

وجبت لحبيبك أيه بقى ؟

قال له : جبت لحبيبي علبة سجاير بحالها ، واتفضل اهي ماتغلاش عليك ..

وفوجئ ابويا حمدان بالحرامي وهو بيطبق فيه ويقول :

علبة سجاير يا نتن يا ضلالي ياللي تاكل مال النبي ، علبة سجاير من ألفين جنيه ، بقى انا اديك السيجارتين اللي كانوا حيلتي وانت تديني علبة سجاير من ألفين جنيه ، والله ماحسيبك الا في المحكمة ..

وراح شايل ابويا حمدان هيلا بيلا و دخل بيه غيط الدرة لقيو المحكمة منصوبة ..!!

وعرض الحرامي قضيته على المحكمة ..

وبعد المداولة حكمت المحكمة ان الحرامي زي ما دى ابويا حمدان كل اللي معاه ، وان المتهم اللي هو ابويا حمدان اعترف ، والإعتراف هو سيد الأدلة ، فيبقى الحكم ان الحرامي ياخد كل اللي ف جيب ابويا حمدان اللي فضل يصرخ وهما بياخدو من جيبه حق البقرة :

داظلم .. داكفر .. انتو ما عندكوش إسلام ..

وأخيرا اتهوّر وقال :

انتو مش محكمة ، انتو عصابة ..!!

واعتبرت المحكمة ان الجملة الأخيرة من استغاثة ابويا حمدان اهانة لهيئة المحكمة الموقرة ..!

وتقرر تقديمه لمحاكمة عاجلة ..

وفوجيء ابويا حمدان بالحرامي بيميل عليه ويقول له في ودانه :

الحق شد لك واحد محامي يترافع عنك لأن التهمة دي فيها إعدام ..

قال له : واجيب محامي منين دلوقتي واحنا في قلب الدرة ..

قال له : على فكرة انا محامي ..

قال له : ماتترافع عني ينوبك ثواب ..

قال له : والأتعاب ..

قال له : مانت خدت كل اللي معايا ..

قال له : مش كفاية ياحبيبي دي قضية كبيرة ..

قال له : ماحلتيش بقى غير هدومي ..

قال له : اقلعهم !!

وقلع ابويا حمدان هدومه واداهم للمحامي وفضل واقف (بلبوص) أمام هيئة المحكمة ، وفي الوقت نفسه معجب بفصاحة المحامي اللي قدر بعد مرافعة مجيدة استمرت ساعتين يجيب له حكم البراءة ..

ومامليكش ابويا حمدان نفسه من الفرحة ، فانطلق يجري على السكة الزراعية وهو بيهتف ويقول :

يحيـا العـدل .. يحيـا العــدل !

سحور دسم

كان (عتمان ابو طاقية) يعاني أشد المعاناة من نهار رمضان انه مابيقدرش يشتغل في غيطه بسبب جوعه وعطشه ..

ولما سأل فيلسوف الفلاحين (السيد ابوعوف) عمل له فيها دكتور وبدأ يسأله عن نوعية فطارهِ وسحورهِ ..

قال له : بافطر من طبيخ المرة ، وباتسحر جبنة ولبن خض وخيار .. رد عليه السيد : انت اتجننت ياواد ياعتمان ، حد عاقل يعمل كدهِ ..؟ تتسحر جبنة ولبن خض وعايز تشتغل في الغيط ، انت كويس انك بتتعدل من على جنبك ، اعمل العكس ، افطر جبنة ولبن خض لأنه خفيف وبيعطّش ، وتنعس ليلك ، ولما تصحى تشرب وتتسحر الطبيخ اللي يقويك على الجوع والعطش وتقدر على شغل الفاس والغيط ..

حسبها عتمان ابوطاقية في دماغه لقاها فكرة معقولة قرر ينفذها .. وكانت المصادفة ان مراته طابخة في نفس الليلة دكر بط عتيق وكان في انتظارهِ من شهور نسي خلالها طعم (الظفر) ، قرر يطبق نظرية السيد ابو عوف على دكر البط ويقاوم كل رغباته في التهام دكر البط في الفطار ويأجله للسحور ..

فطر عتمان هوّ ومراته من قارعة اللبن الخض والجبنة وصلى العشا والتراويح ودخل القاعة ينام ..

وكانت القاعة فيها تلات فتحات بيدخل منهم الهوا والنور الرباني .. الباب و(المنور) و (الناروزة) ..

والمنور فاتح على الشارع ، والناروزة فتحة في سقف القاعة ، وكان عادته لما يدخل القاعة يقفل الباب ومراته تقفل المنور وتسندهـ بحجر كبير ، والناروزة مقفولة طبيعي وحاطين فيها (قفّة) قديمة ..

وبعد التقفيل تبقى القاعة كأنها قبر مظلم ظلام تام ..

دخل عتمان القاعة ينام ومعاهـ المرة وخدوا معاهم دكر البط والقلة استعدادا للسحور الدسم ، واستجمع كل عزيمته وصبرهـ ، ونام .. صحيت مراته زغدته وهيا بتولول وبترقع بالصوت الحياني :

اصحى ياعتمان ، ياخرابي راح علينا السحور وراح دكر البط اللي حاينتن ، أنا سامعة صوت الناس ماشية في الشارع ..

وأول ماصحي عتمان لقى ريقه ناشف وبطنه بتصفّر قال :

الله يخرب بيتك ياسيد يابوعوف ..

وحبت مراته تستكشف النهار طلع ولا لسّه ..

اتجهت للمنور تشيل من وراهـ الحجر لحقها عتمان وصرخ فيها بأعلى صوته :

إوعي تشيليه ياولية لاحسن اسوّد عيشتك وعيشة اللي خلفوكي ، هاتي الأول دكر البط .. !!

وبدأ ياكل وقال للمرة :

كلي ياولية وسيبك من الوساوس ، الدنيا لسّه ضلمة كحل قدّامك ..

ولهط عتمان ابوطاقية ومراته دكر البط وشرب من القلة واتكرّع وباس إيدهـ وش وضهر ونوى الصيام وقال لمراته :

قومي بقى ياولية افتحي المنور .. !

أبو شادوف

هو أفقر فقراء القرية على الإطلاق ..

لايملك أي شيئ من حطام الدنيا إلا جيش جرار من الأولاد و البنات والزوجة و الأب والأم ، ويسكنوا في (كوخ) من الخشب والجريد وجزوع النخل والطين أقاموه خارج القرية في (خفية) النهر ...

وكان (صبيح ابو شادوف) مزارع فاسه وعافيته هما رأسماله الازم لتوفير رغيف العيش (المتقلب) لتلك الأسرة الكبيرة ..

كان يحمل فأسه و (زوادته) صباح كل يوم ويذهب إلى (وسعاية البركة) حيث يتجمع المزارعون (الأرزقية) الذين لايمتلكون أرضا من حطام الدنيا من قريته الكبيرة و من الكفور والعزب الصغيرة المتناثرة حولها في انتظار من يطلبهم (يومية) مقابل أجر زهيد لايتعدى عشرة قروش أو مايعادلها من خبز أو أرز أو شعير أو أي محصول آخر متوفر عند من يطلبه للعمل ..

وبعض الأيام تكون مواسم له حيث يكون فيها العمل على أشده مثل مواسم الزراعة والحصاد فيعمل فيها بشكل شبه يومي ، فينعكس ذلك على أسرته فيأكلون الخبز (بالغموس) الذي من الممكن أن يصل إلى مرحلة الطبيخ ..

وباقي الأيام يكون عمله فيها متقطع فينعكس ذلك على أسرته فيأكلون الخبز بالمش أو طهي بعض النباتات التي تظهر في الغيطان وعلى الترع والمصارف ..

ورغم ذلك كان أبوشادوف قد تآلف مع الشقاء والفقر ، فكان يتمتع بقوة كبيرة جعلته متميزا على زملائه وقائدا لهم في عزيق الأرض وحصل على لقب (أيّدة) ، وهذا اللقب معناه أن يطلب صاحب الأرض منه عدد الأنفار فيقوم أبوشادوف بترشيح من يعمل منهم معه على أن يتقدمهم في خط العزيق وهم يتبعونه ..

وهو يحدد مواعيد بداية ونهاية العمل وفترات الإستراحة والغذاء كأنه مايسترو فرقة موسيقية ..

وفي الليل يقضى أبوشادوف أوّله مع أسرته في جزء داخل الكوخ أمام

(الراكية) ، حتى إذا غلب عليه النوم يدخل إلى الجزء الآخر من الكوخ لينام هو وأسرته جميعا متناسقين في صف واحد دون غطاء مستمدين الدفء من الراكية ومن أنفاسهم المتلاحقة والمتناغمة ..

وفي ليالي الشتاء تكون المعاناة الحقيقية في النصف الثاني من الليل حيث يتلاشي الدفء الذي بعثته الراكية في الجزء الأول فيتسلل البرد إليهم ويرتعش الصغار فيضطر أبو شادوف إلى تجديد الراكية لإعادة الدفء إليهم ..

هكذا كانت تسير حياة ابو شادوف إلى أن كانت إحدى ليالي الشتاء حين سمع طرقاً خفيفاً على باب كوخه ، ولما فتح الباب وجد شخصا ملثما بين الظلام الدامس فاقترب منه قائلا :

انت مين ؟

رد عليه : لو مات طلبة ابوحطب من العزبة القبلية حاديك خمسة جنيه ..

قال له : مش فاهم حاجة ، مين طلبة أبوحطب .....

ولم يكمل كلامه حتى انصرف الشخص الملثم واختفى بين المزارع غير مبالي بنداءات صبيح ابوشادوف الذي وقع في حيرة ، وتوقع أن يكون

هذا الشخص أحد زملاءه الأرزقية ، فقد كانوا أحياناً يدبرون بينهم بعض (المقالب) لتكون مجالا للضحك والتسلية خاصة في مثل هذه الأيام التي لايطلبهم فيها أحد ويعانون من بطالة مقنعة ..

ونام صبيح ليلته وأخرج هذا الشخص والحدث من ذاكرته ..

وفي الليلة التالية وفي نفس الموعد سمع نفس الطرق ، ولما فتح الباب وجد نفس الشخص الملثم وقد وضع في يده شيء وقال له كلمتين فقط :

أشكرك .. اتفضل

وتركه متسائلاً مذهولاً واختفى بين المزارع ، فدخل صبيح الكوخ ليرى ما أخذه في نور المصباح فوجدها ورقة فئة خمسة جنيهات ، فأصيب بحالة من الإرتباك والذهول ، فقد أخرج زملائه من تلك المقلب لانه هو وزملائه مجتمعين لايحتكمون على نصف هذا المبلغ ، أذن فمن يكون هذا الشخص ؟

هل يكون أتى عن طريق الخطأ ، هل يكون أحد أهل الخير أراد أن يساعده بعد أن علم بشدة ما يعانيه ، أم هو عفريت من العفاريت التي يتحاكون عنها في الوسعاية ..

وقضى ليلته في دهشة وحيرة ، وأكثر ماكان يقلقه هي الورقة فئة الخمسة جنيهات التي رآها لأول مرة في حياته ولكنه لايستطيع أن يجزم هل هي ملكه أم لا ، هل يحدّث أحد بما حدث له مثل زوجته أو زملائه ، ولكنه فضل السكوت ليرى مايحدث غدا ..

وفي صبيحة اليوم التالي ذهب أبو شادوف كعادته إلى الوسعاية حاملا فأسه وزوادته ، وأثناء جلوسه سمع من أحد زملاء الوسعاية وكان هذا الشخص من العزبة القبلية خبراً نزل عليه كالصاعقة ..

مات طلبة ابو حطب امبارح ...!!

وكان عمره سبعين سنة بعد مرضه المفاجئ وكان في غيبوبة من تلات أيام ..

أراد صبيح أن يحدث الناس بما حدث له ولكنه فضل السكوت لعدة أسباب ..

أولهما أنه أحس أن أحداً لن يصدقه ، وثانيهما أنه لايفهم ولايستطيع سرد ماحدث له لغرابة الموضوع ، و ثالثهما أن كلامه في هذا الموضوع سيعرض الخمسة جنيهات للخطر وهذا مالا يعجبه ..

واعتبر أبوشادوف أن هذا المبلغ الكبير أصبح ملكه ولم يجد حرمانية في ذلك ، فهو لم يسرقه من أحد ولم يأخذه نظير عمل غير مشروع ..

وقرر أبو شادوف أن يحتفظ بهذا المبلغ ليكون سنداً له من غدر الأيام التي يتوقف فيها عن العمل ..

ولكنه لم يستطع مقاومة إشباع حاجاته ، فاعتاد أن يشرب الشاي في الوسعاية بعد إفطاره للطعمية وهذا كان لايحدث من قبل ، وعرفت أسرته (اللحمة) والطبيخ الأحمر ..

ولم تصمد الورقة فئة الخمسة جنيهات طويلاً أمام أشباع حاجات أبوشادوف وأسرته ..

وبعد عدة أيام سمع أبوشادوف في الليل طرقاً آخر خفيف على الباب ، ولما فتح وجد الشخص الملثم نفسه قال له :

لو مات علي الجمال من عزبة التهامي حاديك عشرة جنيه ..

وقبل أن يرد أبوشادوف بأي كلمة انطلق الشخص إلى المزارع واختفى كالشبح ، وقضى ليلته واليوم التالي في حيرة وقلق ، وفي الليلة التالية سمع نفس الطرق ولما فتح وجد الشخص يمد له يده قائلا :

أشكرك .. اتفضل

ودخل أبو شادوف كوخه ليكتشف أن في يده ورقة فئة العشرة جنيهات ، وأصبح في حالة متقلبة بين الحيرة والسعادة والقلق ..

وضع المبلغ في جيبه ولم يذق طعم النوم إلى أن حمل فأسه في صباح اليوم التالي متجهاً إلى الوسعاية قاصداً زملائه من عزبة التهامي وجلس قريباً منهم وسمع الخبر :

مات امبارح علي الجمال .....!!

وكان عمره خمسة وسبعين سنة بعد مرضه الطويل ودخوله في غيبوبة من يومين ..

تكتم أبوشادوف على المبلغ وماحدث له وقرر ادخار الورقة فئة العشرة جنيهات للزمن ، وتكاسل بعض الأيام عن الذهاب إلى الوسعاية ، ولم يعد له مقدرة على أكل المش ونظر إلى ثيابه المتهالكة هو وأسرته فأحس بأن هناك تفاوت كبير بين ثيابه والمبلغ الموجود معه ..

وتبخرت الورقة فئة العشرة جنيهات نتيجة تجديد ثياب أسرة أبوشادوف ..

وانتابت أبوشادف حالة من التمرد على مهنته ، فبدأ يتكاسل على الذهاب إلى الوسعاية معظم الأيام وإن ذهب يذهب متأخراً ، فتكون فرصة لحاقه بعمل صعبة ، وإن لحق بعمل يؤديه بتكاسل واستعلاء شديدين وتختفي معهما روحه المرحة وقفشاته الكثيرة التي كانت تميزه عن زملائه وبدل بهما وجه كئيب متعالي وسواعد مترهلة ولسان لايكل من التعبير عن تمرده من نوعية ، شغلانة تقرف .. شغلانة تقصّر العمر .. ربنا يتوب علينا ..

والأكثر من ذلك أن ضاع منه لقب (أيّدة) بسبب كل ماسبق ..

ومرت أيام وأبوشادوف قد أفلس ولم يعد معه أي نقود واقترب الخبز من النفاذ وتمنى أن يسمع طرق الباب ..

وبعد عدة ليال مرت طويلة عليه جاءه ما تمنى ، ولما فتح الباب وجد الشخص الملثم يقول له :

لو مات عطوة ابو شديد من عزبة الشال حاديك عشرين جنيه ، واختفى كالعادة بين المزارع ..

وانتظر أبوشادوف في الليلة التالية فلم يأته أحد ، فذهب في اليوم التالي إلى الوسعاية وجلس مع مجموعة من زملائه من عزبة الشال لفترة طويلة فلم يسمع أي خبر عن عطوة ابوشديد ، فقرر هو بنفسه الذهاب إلى عزبة الشال للتحري عن هذا الرجل فعلم أنه مريض جداً وفي أيامه الأخيرة ، فمكث بها ثلاث أيام ينتظر الخبر الذي يسعده ويحقق له المال الذي لم يحلم به طوال حياته ..

وأخيرا شاع في العزبة خبر موت عطوة ابو شديد ففرح ابوشادوف فرحاً شديداً وعاد إلى كوخه ينتظر المكافأة ، وفي نفس الليلة ونفس الموعد جاءته المكافأة بنفس الطرق السابقة ونفس الكلمتين :

أشكرك .. اتفضل

أخذ المبلغ الكبير ولم يشعر في هذه المرة بأي حيرة أوتأنيب ضمير ، بل اعتبره حقه المكتسب ولم تشغله أي من الأمور السابقة ، كل مايشغله هو كيف ينفق هذا المبلغ الكبير ..

ولم تمض سوى أيام قليلة جداً وقد تبخر المبلغ في بعض الكماليات مثل وابور جاز .. حمل للغطاء في الشتاء .. راديو .. بالأضافة إلى تحسين نوعية طعامه ..

ولاحظ أنه كلما كبر المبلغ كلما قصرت مدة صرفه ..

وعاد أبو شادوف إلى انتظار المنحة الجديدة بشكل جديد ، أصبح لايذهب إلى الوسعاية لأنه أحس بتواضع المقابل الذي يأخذه مقابل ساعات طويلة من الشقاء طوال النهار ..

كما أنه قد شاع بين أهل القرية أنه لم يعد يصلح للعمل ..

ومرت عليه أيام صعبة لم يجد فيها قوت له وأولادهِ فاضطر إلى سرقة المحاصيل من المزارع لتلبية احتياج أسرته ..

وانتظر المنحة التالية بشغف شديد لدرجة أنه كان ينام خلف الباب خوفاً من أن لايسمع الطارق ، وجاءهِ ما كان ينتظرهِ :

لو مات سيد الدكش حاديك خمسين جنيه .. !

وكاد أن يغمى عليه من ضخامة ماسمع ، خمسين جنيه مبلغ خرافي لم تصل إليه أقصى طموحاته ..

وبدأ يخطط مستقبلا لدخول هذا المبلغ إلى جيبه ، وفكر في شراء دار له داخل القرية تحميه من البرد وفيضان النيل الذي يأتيه فيدمر كوخه ويلاقي الأمرين هو وأسرته حتى يتم إعادة بناءهِ مرة أخرى ..

سيصبح مثل أهل القرية إذا مات سيد الدكش ..

وسيد الدكش هو من نفس قريته ويعرفه جيداً ..

وتابع أخبارهِ فعلم أنه مريض مرضاً شديداً وحالته تسوء يوماً بعد يوم ، فانتابته سعادة بعد سعادة وأحس أن الخمسين جنيه على وشك الدخول إلى جيبه ..

وفي أحد الأيام قيل له :

قد حدث تحسن بسيط في حالته ، فبدأ يشعر بالقلق . .

وبدأت حالته تتحسن تدريجياً إلى أن شفي تماما وخرج من بيته ، بينما ابوشادوف تكاد تقتله الحسرة والغيظ ..

وفي صبيحة أحد الأيام صحت القرية كلها على خبر مفجع ..

قُتل سيد الدكش ، تسلل القاتل إليه ليلاً وطعنه بالسكين وهرب ..

وحامت جميع الشبهات حول شخصين .. (الحنش) و (ابوالهمم) ..

فهما المشهود لهما بالإجرام في القرية وجميع القرى المجاورة ..

وفي نفس الليلة وصل الرجل الملثم إلى أبوشادوف و سلمه المبلغ والكلمتين ..

أشكرك .. اتفضل

أخذ أبوشادوف المبلغ ودفع منها مقدم لدرهِ الجديدة داخل القرية .. وبدأ يشعر أنه فرد من أفراد القرية الحقيقيين بعد أن كان مهمشاً فقيراً ينتظر الصدقات من أهل القرية ..

الآن أصبح يقول للناس بملء الفم .. داري ..

ولكن سعادته لم تدم عليه طويلا ، فقد نفذ كل ما معه من نقود وباع كل ما لديه في الدار وأصبح يعيش هو وأسرته في مجاعة حقيقية للدرجة التي بسببها مات ولدهِ الرضيع بسبب عدم مقدرة الأم على الرضاعة ، وعاد بفأسه إلى الوسعاية ولكن أحداً لم يطلبه للعمل ..

وأصبح أمله الوحيد الذي سينتشله مما هو فيه هو أن يسمع طرق الباب في الليل ..

وتعلقت روحه وجوارحه بالباب ، للدرجة التي جعلته في أحيان كثيرة يتوهم أن سمع طرقا على الباب فيفتحه بسرعة فلا يجد شيئا ...

وأخيرا بعد طول انتظار سمع الطرقات على باب دارهِ الجديدة ، ولما فتح وجد الرجل الملثم يقول :

لو مات الحنش حاديك ميت جنيه .. !!

وكاد قلب أبوشادوف يتوقف من هول المفاجأتين ، الأولى هو هذا المبلغ الخيالي الذي لم يحلم ولو لمرة واحدة أن تقع عليه عيناه ، والثانية هو الحنش ..

وكان الحنش مجرماً عتيداً في الإجرام ، وقاتل ترتعتش له الأجساد ومحترف للقتل ..

وكان أبوالهمم عما قريب أحد صبيانه وممن احترفوا القتل على يديه ..

وكان مجرد ذكر إسم الحنش في مكان يثير الرعب والفزع ..

كيف يحصل أبوشادوف على المبلغ الضخم ..؟

كيف يموت الحنش ، وهو مجرم يتمتع بصحة جيدة ولايحتمل موته قريبا .. ؟

وكاد أبوشاوف أن تنفجر رأسه من شدة مايدور بها من تساؤلات ..

كيف يستطيع أن يحافظ على حياته الجديدة .. ؟

هل يعود لحمل فأسه والذهاب إلى الوسعاية من جديد ومعها يعود إلى كوخه وشقاءه وينتهي حلمه الجميل ، لأنه لن يستطيع أن يسدد باقي ثمن الدار من فأسه ..

حتى فأسه لم تعد مصدر رزقه ..

ماذا لو مات الحنش ..؟

سيكون في جيبه مائة جنيه ، يسدد منها باقي ثمن الدار وتنتعش حياته اقتصادياً ..

وعاد إلى نفس السؤال ، كيف يموت الحنش ..؟

ولم يجد سوى إجابة واحدة ، أقتله كما قتلت سيد الدكش ..!!

نعم أنا قتلت سيد الدكش بالنية رغم أن يدي لم تمتد إليه ، أنا أكثر من استفاد من موته ، أنا الوحيد في القرية الذي أسعده قتل سيد الدكش ..

إن كان الأمر كذلك فلامانع من أن أقتل بيدي ..!!

ورصد أبوشادوف خط سير الدكش في طريق زراعي ، وتربص له في أحد المرات و استجمع كل عزمه و قواه وخرج عليه بفأسه و ضربه على رأسه فخر قتيلاً في الحال ..

وانطلق في الغيطان حتى وصل إلى النهر وقذف بالفأس الممتزجة بدم الحنش فيه فغاصت وهو يودعها ببصره ..

فهي كانت ومازالت المصدر الرئيسي لدخله ..

وعاد أبو شادوف إلى بيته الجديد ينتظر المائة جنيه ..

وفي الليل سمع طرق الباب ، وعندما فتح وجد شخص غير ملثم يمد يده إليه وأضاف كلمتين إلى الكلمتين السابقتين :

أشكرك .. اتفضل يا دراعي اليمين .. !

فاقترب منه أبوشادوف ليتفحص وجهه بين الظلام ، وحينما تفحص وجهه صرخ صرخة هائلة ..

مين .. ابوالهمم .....!!

الفقر وسنينه

كان دخولنا الجامعة هو بداية العمل السياسي الفعلي لنا عن طريق

(أسرة الحرية) ..

و كان (الفقر) هو العدو الإستراتيجي الأول و الأكبر لنا ..

مصروفي اليومي كان ربع جنيه بالتمام والكمال ، بيروح منهم ريال في المواصلات ، و (الشلن) الباقي يستحيل معه تحقيق المطلوب منه ، الأكل وشرب الشاي والسجاير أو ممارسة أي لون من ألوان الرفاهية ..

و كان مصروفي باخده كل أسبوع ، يعني جنيه ونص ، لأن الجمعة أجازة من الجامعة ، ومن المصروف ..

و كان عندي حكمة شهيرة بتقول :

لو كان الفقر راجل ، يطلع لي برّه .. !!

وكنت هايم في السياسة على طريق الزعيم الخالد جمال عبد الناصر الزعيم التاريخي للفقراء ، لكن (صفوت) ابن عمي ورفيقي في رحلة الجامعة والفقر كان شايف ان عبد الناصر لم يستطع أن يساوي بين الجميع با لقدر الكافي لأنه ترك أغنياء وفقراء ..

وكان رأيه أن (الشيوعية) هي الحل للوضع المؤسف اللي بنعيشه ، يإما الناس كلها تعيش في رفاهية ، يا إما تعيش في فقر ..

و في الحالتين حايكون الجميع سعيد ومفيش حد بيحقد على حد ..

فكرنا كتير في إقامة معارض و ندوات وحفلات ومجلات للأسرة ، ولكنها كانت تتحطم على اعتاب الفقر ، نقوم نرجع تاني نحلم و نتكلم و نمارس السياسة (القرديحي) و احنا بنلعن الفقر وسنينه ..

وعاش صفوت ايامه متمقص دور شيوعي حقيقي ، وعلق صورة كبيرة لـ (كارل ماركس) في المندرة ، وكان كل زوّار عمي يسألوه عن إسم (الشيخ) صاحب الصورة يرد عليهم مش عارفه ، لكن باين هوّ ده الشيخ اللي ربنا هدى صفوت ابني على إيده ، شايفين التقوى والوقار والنور اللي بيفط من وشه ، ويقروا الفاتحة له .. !

و في الصيف اتفقنا نسافر العراق لتحسين وضعنا المادي ، أم صفوت باعت خلخالها علشان تجيب له تمن التذكرة بعد ماقدر يقنعها انه حايرجع معاه فلوس كتير ويجيب لها احسن منه ...

لكن امي رفضت لأنها خافت عليا وقالت ان بيقولوا هناك حرب ..

لكن اعتقد ان رفضها كان سببه الحقيقي عدم ثقتها فيا ، وان خلخالها حايروح هدر ..

سافر صفوت العراق من غيري وقضى شهور الصيف كنا نتبادل فيهم الرسايل الحارة وكأننا على فراق من سنين ، و كان كل كلامه في الرسايل خطب نارية ملتهبة عن الثورة والنضال والكادحين وعرق العمال و دم الأحرار ..

كان يفتتح كلامه بنداء ملتهب جداً من نوعية : أخي .. رفيقي .. رفيق الدرب .. شريك الحلم والنضال .. شريك الدم الذي أرى بريق الثورة بين عينيه ..

وكلام الرسايل أكثر سخونة ..

(إذا لم تنبت في الصخور زهرة حمراء فسينبتها دم الثوار ، وستبقى رمزا أبدياً رافعة مشاعل الحرية على طريق التغيير) ..

وكلام كتير من النوعية دي ..

ورجع صفوت في أول الدراسة ببشرى خطيرة ..

قدر يجمع ورقتين دولار (يعني متين دولار) روحنا السوق السودة بدلناهم بحوالي متين و تمانين جنيه ..

مشينا في شوارع بنها نحلم ونرسم مشروعات المستقبل ، وطبعا الوضع المالي لصفوت جعله في مكانة ووضع رفيع ، هوّ اللي يقول وانا اسمعه بدون أي مناقشة أو اعتراض مني ..

و كان صفوت بيتكلم بطريقة البرجوازيين التقال ، تحسّ من كلامه انه عدى مرحلة الفقر بلا رجعة ..

قال صفوت بلغة كلها فخر وعنطزة :

المبلغ الكبير اللي معايا مش ملكي لوحدي ، انت كمان لك فيه وأصدقائنا وكل أعضاء المشروع النضالي اللي قررت اتبناه ..

(رابطة جامعة الزقازيق) .. !

مشروع نضالي كبير نخرج بيه من إطار أسرة الحرية الضيق إلى نطاق أوسع ، سيكون عملنا على مستوى الجامعة ككل ، و بعده ننطلق لجميع جامعات مصر ، و لن يوجد أي عائق لنا بعد اليوم ، حانكون أعضاء في اتحاد طلبة الجامعة ، ويمكن حتى على مستوى جامعات مصر كلها ..

اتفاعلت معاه في كلامه وانبهرت با لفكرة العبقرية ، مش كده و بس ، اعتبرت نفسي شيوعي من اللحظة دي ..

و طبعاً نصّب صفوت نفسه مقرر الرابطة و أنا النائب بتاعه ..

ودخل أفخم محل ملابس في بنها واشترى بدلة شيك ، وقال انه مظهره لازم يليق بمنصبه ، لأنه أكيد حايقابل شخصيات كبيرة زي

الوزير ورئيس الجامعة والعمداء ، وادّاني عشرة جنيه اجيب طقم جديد يليق بمنصبي ..

حطيت العشرة جنيه في جيبي و بقيت اكتر شيوعية من صفوت ..

و بدأنا نعمل لائحة للرابطة ، كان أهم شيء فيها تحصيل جنيه اشتراك من كل طالب يرغب في الإنضمام لضمان استمرار الرابطة في أعمالها ..

وبدأ صفوت بيا أولاً و خد جنيه من مصروف الأسبوع وقال :

علشان نشجع الجميع على الإشتراك ، وعموما انت معايا على طول وماتحملش همّ مصاريف باقي الأسبوع ..

واختار صفوت رائد الرابطة الدكتور الفنان الشهير (سيد عبدالكريم) من كلية الزراعة بمشتهر لأن له ميول اشتراكية تناسب أهدافنا وأهداف الرابطة ، وهو باعتباره وجه تليفزيوني شهير يكون جازب للرابطة ..

روحنا عملنا لوحات و مطبوعات و وسائل دعاية كتير جداً وكلها تبين أهداف ومشروعات الرابطة ، و طبعاً صفوت هوّ اللي دفع فلوسها لوحده ، و كتبنا عليها أسمائنا و كتبت قصيدة جديدة بهذه المناسبة العظيمة كان مطلعها :

قـوم يا مصـري وشدّ الحيل .. قـوم الصبــح قـوم با لليـــل

ارفـع راسـك اضـرب فاسـك .. اعرف ناسـك جيـل ورا جيل

ابني بلدنا وعمّــر فيهـــــا .. و لسّــه طـريق قدّامنا طويل

مهما حاتتعب فيـه وتتوه .. فيـــه قدّامك ألف دليـــل

وزعنا الدعاية وفيها القصيدة في جميع كليات بنها (تجارة .. تربية .. آداب .. علوم) و أقنعنا مجموعة كبيرة من الطلبة با لإنضمام للرابطة

، وسافرنا لباقي كليات الجامعة في الزقازيق ومعانا مجموعة من الطلاب وضمينا مجموعة تانية ..

وكان كل طالب ينضم جديد للرابطة نمنحه منصب قيادي فيها .. فكّرتنا بجملة الفنان توفيق الدقن الشهيرة ، لما كل الناس حاتبقى فتوات ، امال مين اللي حاينضرب .. !

والغريب ان مفيش أي طالب من المنضمين سدد اشتراكه غيري ، على العكس ، قضوا يومين يركبوا المواصلات ويا كلوا ويشربوا شاي وسجاير على حساب صفوت ، و كأن الرابطة هي مأوى للمقاطيع ..

و بعد اليومين ذهبنا لكلية الزراعة نقابل الدكتور سيد ونعرض عليه مشروعنا العظيم و لوحاتنا والقصيدة و دعايتنا اللي عملناها ..

و ماكان منه الا انه ضحك با ستهزاء و قال :

غريب انكم عاملين مثقفين ومش عارفين اللائحة الطلابية لعام ٧٩ التي تمنع قيام الأسر خارج الكليات ، حتى الأسر داخل الكلية لابد لها من موافقة جهات الأمن ، وأنا من الشخصيات اللي مستحيل الأمن يوافق لها على ريادة أسرة ..

وقال ان نضاله الحالي منصب على تغيير لايحة ٧٩ المقيدة للحريات والعودة الى لايحة ٧١ ...

رجعنا من عند الدكتور سيد عبد الكريم منكسرين نجر خيبة الأمل وضياع حلمنا الجميل ..

وف طريق رجعتنا بصيت لصفوت واحنا راكبين الاتوبيس لقيته حزين مهموم حبيت اواسيه قلت :

احنا ممكن عن طريق أسرة الحرية نمارس كل نشاطنا و نعمل زيارات وتوأمة مع أسر من كليات تانية ، رد عليا بحزن :

مش هيّ دي المشكلة ، المشكلة ان كل فلوسي خلصت ومفيش باقي غير تلاتة جنيه ..

و ساد بيننا فترة صمت لعدم وجود كلام مناسب اواسي بيه صفوت على ضياع ثروته الضخمة اللي حلمنا معاها بتغيير الواقع السياسي والطلابي في مصر كلها ..

و قطع صفوت الصمت و ميّل عليا و قال لي :

هات العشرة جنيه اللي معاك ، ما عادش فيه لزوم للطقم الجديد .. !!

وبعد كام يوم خلصت العشرة جنيه في شرب الشاي والسجاير ، ورجعنا من تاني نسب و نلعن في الفقر و سنينه .. ولايحة ٧٩ ..

سحـــلول وبهـــلول

في أواخر حكم دولة المماليك ، وبعد انتشار الفوضى والرشوة والمحسوبية بين الناس مات والي العياط وكان له نائبان ، سحلول وبهلول ..

الأول معروف بين الناس انه حرامي ، و التاني معروف انه منافق ..

و احتارت الناس في الإختيار من بينهم ، مين خليفة الوالي ..؟

سحلول ولا بهلول ..؟

وانقسمت الناس تلات فرق ..

فريق مع الحرامي وفريق مع المنافق والفريق الأكبر محتار بينهم وبيبحث ، مين أخفّ منهم ضررا ..

وكتر الكلام والفتنة والصراعات في البلد وأصبحت على وشك الدخول في صدام وحرب أهلية ..

ولكن مجموعة من العقلاء دعت جميع الأطراف إلى اجتماع عاجل لجميع أهل العياط ..

وفي ساحة الإجتماع اتفقوا جميعاً على عمل قرعة يختاروا واحد من الموجودين بالساحة ، والفائز بالقرعة يختار الوالي الجديد وعلى الجميع الانصياع لاختيارهِ ..

ولاقي الإختيار قبول الجميع ..

وعملوا القرعة وفاز بها فلاح فقير عجوز جداً ..

طلّعوه على المنصة وسألوه : تحب تختار مين ..

سحلول و لابهلول ..؟

رد الفلاح : مش فاهم .. بسّطوها شوية ...

سألوه تاني : مين الأصلح للبلد ..

سحلول و لا بهلول ..؟

قال يا جماعة أنا راجل فلاح وفهمي على قدي ، سهلوها قوي ..

وكان منهم راجل فلاح قراري ، قال ياجماعة سيبوني .. أنا حافهّمه ..

قرب منه وقال له :

اسمع يا حاج .. لو جبنا ميزان وحطينا سحلول في كفة وبهلول في الكفة التانية ، رأيك مين كفته تطب .. ؟

رد الفلاح :

أنا رأيي لو حطيت الاتنين في كفة ، وبلغة قديمة في الكفة التانية ، أكيد البلغة اللي حاتطب ....!!

محاولة اغتيال مبارك

كان يوم اسود و مهبب من أيام حياتي ..

كنت مجنّد في كتيبة الدفاع والحراسة في مطار ألماظة ، وكانت الكتيبة مكلّفة بخدمات وطلب المطار كله ، وكان (كامل التهامي) صول مكتب الأفراد هو المكلف بوضع خدمات وطلب الكتيبة لايسمح بأي مجال للإعتراض ، ولو اعترض أي عسكري يكون ردهـ :

إحنا في جيش مصر و لا جيش تحية كاريوكا ، نفّذ ياعسكري ، ولا فاكر نفسك شغال في شركة ..

و كان من خدمات المطار خدمة (مستير ٢٠) ..

والمستير ٢٠ سرب طائرات مكون من ٢٠ طائرة كلها تحت أمر الرئيس مبارك ، واليوم اللي كان يسافر فيه من المطار ندوق الأمرّين من كتر دواعي الأمن والإحتياطات الرهيبة اللي كانوا بيعملوها ..

وكانت المسائل دي طبعا يحضر معاها التعليقات والقفشات الجميلة من العساكر :

طيران الإنذار المبكر اكتشف حشرة مقرّبة من المطار ومحتارين في تحديد نوعها ، هل هي سحلية ولا خنفسة ولا برص ..!

قائد الحرس الجمهوري كتب في تقريرهـ :

بعد تفتيش الجنود تفتيش ذاتي لقينا جندي صعيدي في راسه قملتين زيادة ..

وكتير من القفشات اللي كنا بنداوي بها همومنا علشان نعدي الأيام الصعبة ..

وفي اليوم المشئوم كنت خدمة (شنجي) على المستير ٢٠ ، وكان البرنجي اسمه حمدي (روشة) ، وكان لقب اشتهر بيه بين العساكر لأنه كان له تصرفات عجيبة ، وكان الكينجي اسمه حسين ..

استلم حمدي السلاح وفيه خزنة فاضية وجراب فيه خزنة متعمرة .

وكنا معتادين نعلق الجراب في عروة البنطلون ، لكن حمدي عمل العكس ، نقل الخزنة المتعمرة في السلاح والفاضية في الجراب ليه .. الله أعلم .. !

خلّص حمدي خدمته بسلام وسلّم السلاح لحسين ودخل جنبي تحت البطاطين ينام ..

وكان المفروض ان استلم السلاح من حسين الساعة ٢ صباحا ..

وكان من عادتنا في الخدمة ندوّر على تسلية نمرر بها وقت الخدمة الكئيب اللي بيمر ببطء مميت ومنها اللعب في السلاح معتمدين على انه خالي من الزخيرة ..

لعب حسين في السلاح خرج منه دفعة طلقات هزّت مطار ألماظة كله ، صحينا مفزوعين انا وحمدي لدرجة ان حمدي عملها على روحه ..

وف لحظة لقينا الدنيا فوق راسنا ، أمن المطار والمخابرات والشرطة العسكرية ..

خدونا على مبنى الأمن وغمّوا عنينا و ركبنا عربية مشيت بينا لمكان مجهول ، وشالوا الغما لقيتني في غرفة ضيقة فيها عين حمام بلدي ..

وتركوني حوالي يومين شمّيت فيهم مالذ وطاب من عين الحمام ، وشفت فيهم ألوان متنوعة من الرعب ..

النور يقطع ساعة واسمع اصوات غريبة وخبط ورزع ، شوية ينفتح الباب والاقي شخص يبحلق فيا لمدة دقيقة ويقفل الباب من تاني .. وقعدوا كام يوم على افلام الرعب دي لدرجة اني ضاعت مني معالم كتير ونسيت احنا الساعة كام واحنا با لليل ولا با لنهار وفي أي يوم من أيام الأسبوع ..

بعد فترة انفتح الباب ودخل شخص متجهّم غمّى عنيا وخدني ومشينا كتير ..

ولما شال الغما لقيتنا في غرفة تانية قدّام مكتب قاعد عليه شخص اكثر تجهماً ، أدى له التحية العسكرية وسابني واقف قدامه وخرج وقفل علينا الباب ..

شاورلي قعدت قدامه وهوّ بيقلب في أوراق وملفات ، وبعدها اتكلم بصوت منخفض في التليفون حوالي خمس دقايق ، وأول ماحط السماعة قال لي بكل برود :

انت ليه كنت عايز تقتل حسني مبارك ..؟

وكان حايغمى عليا من السؤال ، ولقيتني باطلّع كلام يفتقد الى الترتيب من نوعية .. مين .. أنا .. وازاي .. ليه .. أنا هناك .. أنا كنت نايم .. حمدي هوّ .. أنا ما عرفش حاجة .....

سكت الراجل ورجع يتكلم في التليفون تاني ، وحط السماعة وضرب الجرس جه واحد رجعني تاني نفس الغرفة ..

قعدت في الغرفة مش عارف افكر ولا عارف انام و لا اقف و لا اقعد ولا أيه حايكون مصيري ، ممكن يعدموني ، ولا يسجنوني ، طب ليه .. ؟

ممكن نتهم بتنظيم ارهابي حاول اغتيال مبارك من داخل الجيش زي التنظيم اللي قتل السادات .. معقول .. !!

ممكن المخابرات والحرس الجمهوري يجاملوا مبارك على قفانا .. ونسمع خبر في التليفزيون ..

تمكنت أجهزة الأمن من ضبط تنظيم سري داخل القوات المسلحة يهدف إلى اغتيال الرئيس ، وتظهر صورتنا للجميع ويعدمونا بالرصاص ، معقول أنا وحسين وحمدي روشة نبقى تنظيم إرهابي ونموت موتة كلاب ..

وكان مخي حاينفجر من كتر التفكير في مصيري المجهول ..

بعد فترة خدوني بنفس الطريقة لمكتب تاني قاعد عليه واحد تاني وبعد ما قلب أوراقه وملفاته و حكى ليا قصة حياتي بالتفصيل قال :

واضح من تحرياتنا انك شاعر ومالكش أي نشاط عنيف ومفيش أي حد من عيلتك أو قرايبك دخل السجن ، طب ليه بقى كنت عايز تقتل حسني مبارك ...؟

استوعبت صدمة السؤال واستجمعت كل قوتي و قلت :

يا فندم اقتله .. طب ازاي .. هوّ كان نايم في بيته وانا نايم مستني خدمتي .. يبقى اقتله ازاي ..؟

قال : طب أيه علاقتك بحمدي وحسين ..؟

قلت : زي كل زمايلي في الكتيبة ..

سكت ورجع يقلب في أوراقه وبعد شوية ضرب على الجرس ورجّعوني تاني الغرفة ..

وطبعاً اولاد الرفدي قعدوا يلاعبوني بحالة الرعب دي ..

الغرفة والتحقيقات والأسئلة الغامضة والمستفزة ..

واستمروا على الحرب النفسية معايا من تحقيق لتحقيق ، وكان خوفي الأكبر اني اتعرض للتعذيب اللي كنا بنسمع عنه لمعارضين النظام .

وبعد فترة وفي آخر تحقيق معايا قال المحقق :

احنا حانفرج عنك مؤقتا ، لكن لو حبينا نعرف أي معلومات عنك حانستدعيك تاني ..

حبيت اثبت لهم اني دمي خفيف وابن نكتة ، قلت :

ماانتم عارفين عني كل حاجة ، دا حتى فيه حاجات تعرفوها عني أنا ماعرفهاش ..

لكنه لا ضحك ولا اتكلم ولا كأني قلت أي شيء ..

رجعوني الكتيبة وبعد مارجعت الكتيبة عرفت اني قضيت عندهم تلات أسابيع ..

قابلوني العساكر بالأحضان والتعليقات ولقبوني بلقب (الاسلامبولي) ، لكن حمدي وحسين لا رجعوا ولا عرفت أي شيء عنهم حتى انتهت خدمتي في الكتيبة ..

وبعد مارجعت الكتيبة رحت مكتب الأفراد للصول كامل التهامي اسأل عن مكان خدمتي قال :

ودا برضه سؤال يامحترم ، واحد مهم زي حضرتك متهم باغتيال الرئيس يقف خدمة ، احنا لو مالقيناش عساكر يكفوا الخدمة اقف انا مكان سيادتك ..!!

الحمار أولاً

كان ابويا عودة فلاح معدم مالوش ولا شبر طين ، لكنه كان يمتلك حمار وعربية (كارو) قديمة لها عجلتين ، والجزء الأمامي منها عبارة عن (عريش) يحمله الحمار لاجل تتحرك العربية ..

وكانت العربية بيحمل عليها صندوق خشب كبير من غير غطا ..

وكان مهمة ابويا عودة انه يسهر في الطابونة يعجن طول الليل ، وبعد الفجر يملا الصندوق عيش ويغطي الصندوق ببطانية ميري فراني قديمة معفّرة بالدقيق وملطّخة بآثار من العجين ويسحب الحمار ويدور يوزع العيش في خط سير يومي على القرى المجاورة لقريتنا ..

وبعد عمله الشاق وسهره طول الليل ودورته الطويلة اللي دارها ، وبعد توزيع آخر رغيف في الصندوق يصعد ابويا عودة للعربية وينام جوه الصندوق ويحط البلغة تحت راسه ويتغطى بالبطانية ويسلّم نفسه للحمار يرجع بيه في نفس خط السير بمنتهى الإنضباط المروري اللي بيفتقده كتير من البشر ..

الحمار واخد يمينه في الطريق الطويل وبيمر على قرى و بيقطع طرق ويعدّي كباري بحرص و نجاح تام ..

والأغرب من كده انه كان بيعدّي مزلقان سكة حديد ، وإذا سمع جرس المزلقان ينتظر لما القطر يمر ويقطع المزلقان ويواصل سيره على اليمين لحد ما يدخل جارر العربية وعليها ابويا عودة لدارهِ ..

و تفك مراته الحمار من العربية وتصحّي ابويا عودة ينزل يكمل نومه في الدار ..

واستمر ابويا عودة سنين طويلة في عمله بنفس الطريقة اليومية ، وكانت أجرته خمسة قروش في اليوم ، وأجرة الحمار سبعة قروش .. !

والأجرتين يادوب تكفي مصروف العيش والغموس اليومي لأسرته ، لأن ابويا عودة كان ياكل هوّ والحمار بالليل في الطابونة ..

هوّ ياكل من العيش ، والحمار ياكل من العيش (السحلة) و بعض بواقي الدقيق والردة ..

وكان الأكل هو المتعة المفضّلة و الوحيدة لا بويا عودة ، ياكل العيش بأي غموس ، ولو مفيش غموس مفيش مشكلة ياكل العيش حاف ..

وكانت المنفعة متبادلة مع صاحب الطابونة اللي كان بيقول عنه :

هوّ صحيح ياكل أكل خمس رجالة ، لكنه بيعمل شغل عشر رجالة ..

ومن الطرائف اللي حكاها عنه متولي الفران قال :

أول مايدخل الطابونة بالليل يبدأ يتعشّى هوّ والحمار ، لكن دايماً الحمار هوّ اللي بيشبع الأول ..!

و كان ابويا عودة بيقول :

أنا عمري في حياتي ما شبعت ، أنا باكل لحد مايخلص الأكل ..

و دخل في مراهنات كتير على الأكل ، مراهنة على أكل ٢٠ رغيف ، ومراهنة على أكل ١٠ عجين قبل خبيزهم ، ومراهنة على أكل ٥ كيلو موز بقشرهم ..

و مراهنات كتير من نفس النوع كسبها كلها ، لدرجة انه ف مرة اتراهن على أكل رغيف و عليه نص عرمة جلة .. !

وبعد ما كسب الرهان وصاب الحاضرين بقرفة مزمنة كانت شؤم عليه لأن الجميع امتنع عن مراهنته ، لأنهم بقوا على يقين انهم أكيد خسرانين ..

وكانت المشكلة الحقيقيه له ان دارهِ قديمة جداً وقايلة للسقوط لكنه كان بيعالج فيها تبعا لقدرته المعدومة ، وكانت دارهِ من غير باب ، مرّة سألوهِ :

انت ازاي عايش في الدار من غير باب ، مش خايف من الحرامية ..؟

رد عليهم :

انا ما عنديش حاجة يتخاف عليها ، أنا داري مافيهاش غير العيال ، ياريت حرامي ييجي يشيل شوية منهم ، أهو يوفّر لنا أكلهم ..

ولما اتشققت حيطان الدار واتصدعت كان يعالجها بوضع حجارة وطين بين الشقوق ، ولما قدم سقف الدار والخشب والجريد صابه السوس عالجها بوضع (فلق) نخل يشيل سقف الدار ..

و ف يوم بنلعب في الشارع دب الصوات وقالوا ان دار ابويا عودة

وقعت عليه ومراته وعياله خارج الدار ..

راحت الناس من كل مكان بالمقاطف والفوس يرفعوا الأنقاض من الدار وينقذوا ابويا عودة ان كان لسه حي ..

وف عزّ مالناس بتشيل التراب ومراته ومعاها كورس من النسوان بتصوت وتولول على ابويا عودة ، فجأة ظهر صوت ابويا عودة من تحت الأنقاض بيقول :

أنا هنا ما تصوّتوش عليا ..

وقف الصوات وبدأوا في رفع التراب من مكان صوته ، وكل فترة يندهوا عليه علشان يتأكدوا انه لسه حي يرد عليهم :

أنا طيب ..

ولما وصلوا لمكانه ورفعوا التراب لقوا منظر عجيب ..

كان ابويا عودة واقف وشايل فلق النخل اللي شايل سقف الدار على كتفه ..

وبدل ما يهرب وينفد بجلده من انهيار باقي الدار عليه قال :

عايز واحد يدخل يحل الحمار .. !!

صرخت الناس :

انت مجنون .. انفد بعمرك .. الدار حاتقع عليك ..

رفض كل النداءات وقال :

لازم الحمار يخرج الأول .. !

دخل واحد جريء حل الحمار وخرّجه من تحت السقف وخرج بعده ابويا عودة ورمى فلق النخل من على كتفه وقع و وقع معاه باقي الدار ..

وخرج ابويا عودة والحمار في موكب زفة وتهليل وزغاريد من بين أنقاض الدار ..

باشاميلا ..!

كنت أنا وصديقي (كمال) متفقين في كل نواحي الحياة إلا في شيئين ..

تشجيع فريق الكرة المفضّل لدينا ، وتقييم شخصية (لطفي سلام) ، أو (لطفي افندي) كما كان يطلقه عليه أهل قريتنا ..

وكان (لطفي سلام) نموذج متفرد من شخصيات قريتنا ، فرض سطوته ونفوذه وهيمنته على جميع رجال ونساء القرية وأصبح الحاكم الآمر الناهي بها .

وهو الأوّجه بين أهلها من حيث مسكنه الفاخر وملبسه النظيف الأنيق و أكله لجميع المأكولات التي لم يسمع عنها أهل القرية إلا من خلال خادمته التي تذهب إلى البندر لتشتري متطلبات الأكل فيراها أهل القرية وتشرح لهم مالا يعرفونه ومايعرفونه عن أشهى الأطعمة للدرجة التي جعلت جميع أهل القرية يحسدون الخادمة على المكان الذي تتقلده ، لأنها من المؤكد أنها ستأكل ماتبقى من طعام لطفي افندي وأسرته ..

ومن العجيب أن تلك المأكولات الفاخرة وملبسه وجميع متطلبات معيشته كان الممول الرئيسي لها هم أهل القرية ..

فقد كان لطفي يفرض عليهم جزء من محصولهم السنوي ومبالغ مالية ليكون لهم حماية من بطش رجال الداخلية ، وكان يعطي جزء من هذه المحاصيل والأموال كهدايا لمأمور المركز وضباطه ، والجزء الأكبر يتبقى عنده ينفق منه على نفسه وعلى ولائمه التي يقوم بها مجاملة لمن يساعدونه على فرض نفوذه ولحاشيته من أهل القرية الذين يملأون القرية أحاديثاً وضجيجاً عن نفوذه و مكرماته ووصوله

إلى أعلى المعارف والمستويات الممكنة وقدرته إن أراد على أذى أي إنسان أياً كان ، أو دفع الأذى عنه أياً كان نوعه و أياً كان عدوه .. للدرجة التي جعلت من حاشيته قوة يخشاها أهل القرية ، فأصبحوا يمارسون عليهم نفس مايمارسه لطفي وخصوصا (هلال) قائد الحاشية وكاتم سره و ناقل أحداث القرية و كل ما يجري بها للطفي ، فقد كان يقدم تقرير يومي مفصّل عن كل مايحدث في القرية لحظة بلحظة ..

ومن العجيب أن لطفي وأولاده كانوا يعاملون أهل القرية بغطرسة واستعلاء كمعاملة العبيد وأهل القرية يتلذذون بتلك المعاملة ، فكان لايستطيع أحد الكلام في مجلسه ، الجميع ينصت له إذا تحدث ..

وكانت جميع أحاديثه عن صولات وجولات له ، كيف أنقذ فلان من السجن واللصوص ، وكيف تمكن من فض قضية ثأر بين عائلتين في قرية من القرى ، وكيف دخل على المسئول بكل جرأة وهاجمه وضرب بكل قوة على مكتبه لتنفيذ أحد مطالبه ....

وتكون جميع أحاديثه على تلك الشاكلة .

ويردد حاشيته بقيادة هلال ورائه عبارات تأييد وإعجاب من نوعية :

ياسلام عليك .. الله على حكمتك .. ومين غيرك يقدر يحل أي مشكلة .. صحيح انت سيد البلد ..

و لايملك باقي الحاضرين إلا الإنصات في انبهار بشخصه ..

والأعجب من ذلك أنه أصبح رمزاً للكرم والجود والسخاء ، رغم أنه يعيش متطفل على عرق الفقراء ..

وأصبح رمزاً للعدل ونصير المظلومين رغم أنه نصير الظالمين ..

فكم من ظلم وقع تحت عينه ولكنه يتغاضى عنه ، وكم من أخ ظلم أخوته وجار عليهم بمباركة و تأييد من لطفي لمجرد أنه من أتباعه أو أن لطفي سيستفيد منه ماديا ..

وأصبح رمزاً للصلاح والتقوى رغم أن كل ما يربطه بالدين والمساجد هو الجزء الأخير من خطبة الجمعة التي يأتي إليها متأخراً فتنشق له الصفوف حتى يصل إلى مكانه المخصص في الصف الأول ..

وأصبحت جميع النزاعات والمشاجرات لاتحل إلا بواسطة لطفي وبطريقة غاية في الطرافة ..

يدفع المخطئ مبلغاً من المال للطفي كتأديباً له ، ويضيفهما على احسن مايكون ، ويزعم أن هذا المبلغ سيذهب إلى أعمال خير ..

وبعد الجلسة يخرج الطرفان من عنده في منتهى الرضا ، المظلوم لأن الظالم وقع عليه خسارة ..

والظالم لأن أمواله لن يستفيد منها المظلوم وسترد له بحسنات .. !!

وفي النزاعات التي يخطئ فيها الطرفان يدفع كلا منهما مبلغا يحددهه لطفي كتأديب لهما ، وبعد حسن الضيافة يخرجا أيضا في منتهى السعادة والرضا ..

وكانت نقطة الخلاف بيني وبين كمال كبيرة ..

كان يرى أن (سيدهـ) لطفي ـ كما كان يفتخر بذلك ـ هو سيد البلد كلها لأنهم ينعمون بالأمن من خلاله ، وهو الحامي لهم من أي ظلم يقع عليهم ، وهو بما له من نفوذ يستطيع أن يرد مظالمهم ..

وكنت أرى أنه أكبر مظلمة لهم ، فهو شخص طفيلي استغل بساطة أهل القرية ونهب أموالهم تحت مزاعم وهمية ، فهم بسطاء ليس لهم عداوات ولاصراعات مع أحد ، كل مشاكلهم تنحصر في رغيف العيش

الذي يعانون يومهم في شقاء من أجله ، ويناموا الليل من طول شقائهم في النهار ، وفي النهاية يقاسمهم لطفي شقائهم ..

وأكثر ماكان يشعل نار الغضب عندي هو نظرة الإستعلاء التي يعامل لطفي وأولادهِ بها أهل القرية ، وخصوصا ابنته الصغرى (منى) التي كانت تتبارى في إهانة جميع أهل القرية رجالاً ونساء ، وتكيل لهم ألفاظاً خارجة وصفعات دون أن يمسها أحد بأي شيء لأنها (آخر العنقود) و (دلوعة) لطفي ، فيقابلوا إهاناتها بابتسامات مستسلمة..

وكانت جميع نساء وبنات أهل القري غير مسموح لهم بركوب أي شيئ إلا منى ، فقد كان لها دراجة خاصة تركبها وتتحرك بها دون أي قيد داخل شوارع القرية ، وحتى في حقولها ..

وفي أحد الأيام عند عودتنا من المدرسة كانت أم كمال تسير أمامنا في الطريق وتحمل فوق رأسها (ماجور) العجين الذي ستذهب به إلى (الخبيز) ..

وفي هذهِ الأثناء جائتها منى مسرعة من الخلف وصدمتها بقوة فوقعت بالماجور على الأرض وتحطم واختلط العجين بالتراب ..

فصرخت أم كمال من شدة الألم بكل قوة مرددة بعض الدعاء على من صدمها (وهي لم ترى منى) وأتلف العجين وحطّم الماجور و سبب لها خسارة مادية كبيرة ..

و ما كان من منى إلا أن اتجهت لها في كبرياء قائلة :

انتي بتشتميني يافلاحة ياحقيرة ..

وقبل أن ترد بأي كلمة رفعت منى يدها وصفعت أم كمال على وجهها صفعة هائلة ..

ولما رأى كمال الموقف اندفع بسرعة للدفاع عن أمه فنال صفعة أخرى من منى بالإضافة إلى بصقة ودفعة من أقذر الشتائم .. !

وأصبحت منى تتناوب على صفعهما ، وتجمهر المارة والجيران ولم تفلح محاولات أيا منهم في الدفاع عن كمال وأمه ، بل كان مصير كل من يقترب منهما أن ينال نصيبه من الإهانة والصفعات والبصق من منى ، فابتعد الجميع عنهم واكتفوا بالمشاهدة في استياء مما تقوم به منى ..

وزادت منى من صفعاتها لكمال و أمه و أصبح الوحيد الذي يمكنه أن ينقذهما من منى هو لطفي ، فأرسلوا في طلبه حيث أن بيته كان قريبا منهم ، وتعجلوا وصوله وتعلق بصرهم بالطريق الذي سيأتي منه ..

وما ان وصل لطفي للمكان ترتسم على وجهه علامات الغضب حتى انفتحت الدائرة الملتفة حول المعركة وتعلق بصر الجميع بلطفي وماسيفعله لإنهاء هذه المعركة ..

هل سيرد ابنته عن تهورها ويعيد كرامة كمال وأمه التي أهدرتها منى ولو بكلمة إرضاء لكمال وأمه ، أو كلمة عتاب لإبنته ..

وما إن وصل إليهما حتى توقفت منى عن صفعاتها ولم يتوقف لسانها عن الشتائم ..

واتجه لطفي إلى أم كمال وصفعها بقوة أوقعتها على الأرض ، ثم استدار إلى كمال فصفعه بأخرى أجلسته بجانب أمه وصاح في غضب بعد أن احتضن منى بين يديه :

ياولاد الكلب ، أنتو نسيتوا نفسكم ، مش عارفين دي بنت مين ..؟

وما كان من الحاضرين إلا أن اقتربوا من لطفي متوسلين إليه ألا يغضب ، وأن يعفو عن كمال وأمه ..!

وأخرجوا له أريكة من أحد البيوت وأجلسوهما عليها ..

وانقسم الطريق إلى مشهدين ..

لطفي وابنته يجلسان على الأريكة ، والجميع من حولهما يعملون كخلية نحل ليهدأوا من غضبهما ..

فتجد من يحضر لهما (القلة) ليشربا الماء البارد عسى أن يذهب عنهما الغضب ، والأخر يأتي بصينية وعليها كوبان فقط من الشاي .. وآخر ينظف المكان من حولهما ، وآخرون يتمادون في التوسل إليه بألا يغضب ..

وفي المشهد الثاني كمال وأمه يجلسان وحدهما يبكيان ويستندان إلى حائط يخبئان وجوهما بين أيديهما ، ولايجدان من يواسي عنهما بكائهما ..

تركت المكان وأنا انتفض من الغضب ، وازداد بغضي واحتقاري للطفي ، وفكرت أن أنقض عليه وآخذ ثأر صديقي وأمه المسكينة ولكن منعتني أشياء كثيرة ، من أهمها العادات والتقاليد الريفية التي لاتعطي الصغير أي حق في التعبير عن رأيه مهما تعرض له في مواجهة الكبار ..

انصرفت من المكان ولم تنصرف صورة كمال وأمه وهما يبكيان من ذاكرتي ..

ومالبثت أن انتابتني سعادة في المساء بانتصاري على كمال ، فمن المؤكد أنه سيقتنع أني كنت على حق في تقييمي لشخصية لطفي ، ليس ذلك فقط ، فهو سيكون سندي في الدعوة للإنقلاب على لطفي ..

سنقوم بتوعية الناس من لطفي بأنه ليس إلا مجرد لص ، سرق عرقهم تحت مزاعم وهمية ، وسنبدأ بزملائنا طلاب المدارس ، سنكون النواة الحقيقية لإقامة العدل في القرية ، وبالطبع سأكون أنا زعيمهم والمتحدث باسمهم ..

وحلمت بالزعيم الذي طالما درسنا كلماته الخالدة في كتب التاريخ حينما أطلقها لخديوي مصر المستبد ..

(متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) ..

حلمت أن أتقمص دورهِ وأ قول تلك الكلمات للطفي وكلمات أشد منها ، ولكن يجب أن يكون ورائي جمع من القرية ، وسيكون أولهم بالطبع كمال ، سأحول ثورة غضبه إلى كراهية للطفي ..

وذهبت على الفور لبيت كمال ، فكانت المفاجأة أن قابلني بسعادة عجيبة لم أجدها عليه من قبل ، ولما سألته لم يرد ، بل أتى بصينية فيها قطع من المكرونة قال ان اسمها (باشاميلا) .. !

ولما سألته : أيه الحكاية ..؟

رد بفرحة عارمة :

أنا رحت انا وامي بعد ماهلال اتوسط لنا الليلة عند سيدي لطفي واعتزرنا له وللست منى ، وهما من إنسانيتهم قبلوا اعتزارنا ، ومن كرمهم ادونا الباشاميلا اللي انت كلت منها ، مش كدهِ وبس ..

سيدي لطفي ادى امي ماجور جديد ودقيق بدل الل وقع في التراب .. بذمتك فيه انسانية ولا كرم بعد كدهِ ..؟

صحيح هوّ سيد البلد .. !!

وبدأ كمال يشرح لي في محاسن ومميزات لطفي وأفضاله على جميع أهل القرية ويهاجمني ويطلب مني أن أغير من انطباعي عنه و نظرتي الكارهة له ..

وبعد حسرتي وخيبة أملي خرجت من تقمص دور الزعيم الذي صرخ في الخديوي ، لأتقمص شخصية الزعيم الآخر الذي أصابه اليأس والمرض من عدم قدرته على إحداث تغيير فقلت :

مفيش فايدة ....!!

البيجامة

كان العيد زمان له سعادة لا توصف ..

وكانت مراسم السعادة تبدأ قبل العيد أول مايتم صرف تموين الأسرة وعليه كستور العيد ، وكانت بعض الأسر تستغل الكستور وتفصّله لبس لاولادها تلبسه في العيد ، وكان تمن متر كستور التموين المدعم قرشين صاغ وتمن تفصيل الجلابية عشرة قروش ..

ورغم ضحالة المبلغ لكنه كان صعب تدبيره من أغلبية الفلاحين فكانوا يتنازلوا عنه للبقال وبعضهم كان يفكر بعقلية اقتصادية .. يشتري بقرشين ويبيع بأكتر للميسورين ، وهوّ وشطارته ..

ومن حسن حظي اننا كنا من أنصاف الميسورين لا نبيع ولانشتري ..

وبعد بوادر المدنية مادخلت القرية كان من نتاجها ظهور ترزية غير تقليديين منهم (بكري الهيو) ..

وبكري الهيو كان صبي ترزي فلاحي ، وبعد خروجه من الجيش فتح مندرة في دارهِ وبدأ في تفصيل نيولوك جديد جداً على أهل القرية اسمه (البيجامة) ..

وكانت البيجامة نقلة حضارية وثورة على الجلابية المألوفة في القرية وهو لبس قطعتين بدلا من قطعة واحدة ، وهي أقرب للشبه بالبدلة اللي يلبسها البهوات والأفندية والموظفين ..

ومع مرور الوقت اصبحت البيجامة هي رمز لكل بهوات المستقبل والبوابة الرئيسية للبس البدلة ، ومعنى انك تشوف شخص لابس بيجامة انه أكيد في التعليم ، وخصوصا الثانوي والجامعي ..

وف عيد من الأعياد كنت مع اخويا في المرحلة الابتدائية ، وكنا في الأجازة الصيفية ، صرفنا كستور العيد ، وبعد نضال طويل وعياط ولطم وصراخ وافقت امي علي تفصيل بيجامتين لينا ، لأن تمن تفصيل البيجامة كان يزيد عن تفصيل الجلابية قرشين صاغ ..

وفضلنا نحلم بلبس البيجامة ..

ويوم وقفة العيد يكون يوم الشقا والفرحة ، لأننا بنخلّص شغل الغيط ونوفّر أكل البهايم ونجهّز مطرحهم على أكمل وجه علشان نتفرغ ليوم العيد ..

وكنا زمان بنستحمى في الترعة طول السنة إلا تلات مرات يكونوا في الدار ، العيدين ودخول المدارس ..

استحمينا في القاعة فجر يوم العيد ولبسنا البيجامة الجديدة وخرجنا للشارع نستقبل العيد والناس ، وخرج كل اصحابنا وبقى كل واحد يتفحص لبس التاني ، وكنت من أوجه الحاضرين ، لأن أغلبهم كان لابس جلابية ..

وف عز فرحتي بالبيجامة الجديدة والجري كأني عصفور طاير في ملكوت الله ودخولي وخروجي من الدار دخلت بسرعة القاعة وكانت لسة ضلمة طبشت في (الطشت) وغصت في مية الحموم ..

واتحولت بهجة العيد لسواد أسود من ضلمة القاعة ، ازاي حاقضي العيد مع اصحابي من بعد مافقدت البيجامة ..؟

البيجامة تحتاج ساعات لاجل تنشف ، ومفيش بديل لها عندي إلا (الزاكتة) ..

والزاكتة زي انتشر بين الفلاحين ، وهي جلابية قماشها يتميز بأنه رخيص جداً ومتين ويفصّلها حرافيش الترزية بأبخس تمن ويلبسها الفلاح في الغيط يشتغل فيها طول اليوم وغالبا ماينام فيها ..

والوضع الطبيعي للزاكتة انها تكون قذرة بسبب ماتحتويه من بانوراما من الحشرات والقذارة البيئية وكل مخلفات الطبيعة ، ولايشفع فيها الغسيل بأي حال وغالباً ماتدوب والفلاح لابسها بدون غسيل ..

وطبعا الزاكتة يوم العيد لاتصلح للاستعمال الآدمي ، وتعرف مدى قذارتها اكتر إذا خلعتها وحاولت تلبسها تاني ..

خلعت البيجامة ، وطبعا كان اللبس الداخلي اختراع جديد لم يصل لينا بعد ، قعدت (عريان) تحت الحمل في القاعة ابكي بحرقة على العيد اللي حايروح مني ، حتى الزاكتة بعد ماعصرت على نفسي لمونة وقلت البسها لقيت امي نقعتها في المية علشان البلاوي اللي فيها تدوب ، رجعت تحت الحمل تاني والحسرة حاتقتلني ..

وبعد ماصعبت على امي اتوصّلت لفكرة ترجّع لي البيجامة ناشفة في مدة بسيطة ، تفرد البيجامة في حلة كبيرة وتحط الحلة على (العرسة) في فرن بلدي ، وبعد فترة بسيطة تنشف البيجامة على صهد العرسة ، والطريقة دي كانت بتستعملها امي لتنقية وتعقيم هدوم ابويا ، وجربتها امي قدّامنا كتير وكنا بنتسابق في عدد ما تحتويه هدوم ابويا من قمل وبراغيت بعد مانسمع صوت الطقطقة وهيّ بتنفجر من حرارة العرسة ..

لكن على رأي المثل ، قليل البخت يعضه الكلب في المولد ..

يظهر ان نار الفرن كانت حامية والبيجامة ماقدرتش تقاوم صهد العرسة ..

راحت البيجامة الجديدة وراح معاها بهجة العيد (الغير سعيد) اللي قضيته وانا تحت الحمل بين جدران القاعة وسامع صوت اخويا وزمايلي بيلعبوا في الشارع ..

الجوع والمرض

كانت الحالات المرضية في قريتنا تتأرجح بين شخصين ، عزوز الحلاق وعطوة التمرجي ...

و كان عزوز يختص بالعمليات الجراحية زي الجروح وخلع الأسنان وطهور الأطفال ..

أما عطوة كان متخصص في أمراض الباطنة والعيون وأنف وأذن وحنجرة ..

وكان علاجهم كله عبارة عن وصفات بلدي من اختراعهم ..

فمثلا كان عزوز يعالج الجروح بإنه يحط على الجروح سوس الخشب أو تراب من (محمة) الفرن أو ورق التوت بعد دقه في الهون ..

والعجيب ان كانت وصفاته بتنجح أحيانا ..

مرّة طلع لي (دمّل) في رجلي حط عليه قشرة بصل وحتة سمنه زبدة وزبلتين من خروف ـ وا شترط ان يكون لونه ابيض ـ ، وربطه بعرض قماش من جلابية قديمة ، وحققت العملية نجاح مبهر ..

لكنه مرّة كان بيخلع ضرس لابويا عبدالباقي في أرض ساقية قراجة ، وبدل مايحط (الكلبة) على الضرس حطها على اللثة ، وضغط عزوز على الكلبة وصر خ ابويا عبدالباقي وقفشوا ف بعض وقعدوا يتقلبوا في الأرض ..

وأخيرا طلع عزوز بالكلبة من بق ابويا عبدالباقي وفيها ضرسين وجزء من اللثة ..

وكانت النتيجة ان ابويا عبدالباقي قام نفّض البلغة على راس عزوز وقعدت لثته تنزف لمدة يومين ، ومفيش على لسانه إلا كلمة :

آهـ يامزين الكلب ..!

أما عطوة التمرجي كان استشاري بالدرجة الأولى ، تروح توصف له مرضك يوصف لك الدوا ومكانه وعدد مراته ..

مثلا وجع البطن كان علاجه يقول لك :

تاكل خمس ورقات برنوف من غيط ابويا الحاج سيد تلات مرات ..

وعلاج الإسهال كان يقول :

هات شوية حلفا من على الرشاح واغليهم واشرب المية ..

وكان له طريقة غريبة لعلاج السنط ..

يقول : هات جريدة نخل من نخلة جهة الشرق من غيط وراثة اباً عن جد ، وبعد ما يقول بعض الكلمات الغير مفهومة على الجريدة توضع في قبر بشرط أن تتم العملية كلها قبل شروق الشمس ..

وهكذا كان يتم العلاج في أغلب الأحوال في قريتنا ..

وإذا استعصت حالة عنهم يكون البديل هو الدكتور جاد الحق طبيب المركز ..

والدكتور جاد الحق كان مشخّص جيد للمرض الحقيقي اللي بيعاني منه الفلاحين ، وهو الجوع ..!

كان كل مريض يكشف عندهـ من أهل القرية يعطيه حبوب سلفا ويقول له :

خلّي مراتك تدبح لك ديك أو أرنب واسلقه وكله واشرب المرقة ونام ..

وبعد المريض ما ياكل وينام تلقاهـ قام زي الرهوان ..

و كان (خليل) زميلي في الكتاب صابه الجرب واتشقق الجلد وطلع له (أوب) في جسمه ، كتب له الدكتور جاد الحق سلفا وقال لامه :

ياكل عيش قمح وسميط لمدة شهر ..

وشفي خليل من مرضه واتضح ان جربه كان سببه ان كل أكلهم من عيش الدرة ، لأن الدرة أرخص من القمح ..

و مرّة صابني سخونة في جسمي وما فلحتش معاها كل وصفات عطوة التمرجي ، بل بالعكس كانت بتزيد السخونة أكتر فاضطر ابويا (محمد) ياخدني للمركز للدكتور جاد الحق ..

وحسّيت بقمة السعادة وانشرح قلبي واحنا في طريقنا له ، وبدأت استعد لالتهام الديك والشربة ، أو على أسوأ الفروض سميط باللبن ..

لكنه بعد ماكشف عليا وكتب لي سلفا قال لابويا محمد :

الولد ده عنده حمى ولو أكل حاتزيد عليه ، امنعوا عنه الأكل نهائيا وهاتوه بعد أسبوع ..

رجعت البيت مصدوم من الدكتور ، ومنعوا عني الأكل و قفلوا عليه لأنهم عارفين مدى (طفاستي) وعشقي للأكل ..

رجعت له بعد أسبوع وكلي أمل انه حايعوضني عن أسبوع الجوع ، وأكيد الديك حايكون من نصيبي ، لكنه بكل أسف قال لابويا محمد : استمروا على نفس النظام كمان أسبوع ..

حسّيت بخيبة الأمل ، وان الدكتور أكيد بينه وبيني تار ..

رجعت الدار وخصصوا ليا ركن دائم في المندرة انام فيه وصابني الهذال والضعف وبقيت مش قادر على الحركة و الكلام .

وبمرور الوقت بدأت افقد حواس السمع والبصر ، وبدأت اسير بخطوات ثابتة في اتجاه الموت الإكلينيكي ..

و ف يوم جواز بنت عمي الكبيرة بدأوا في تجهيز الطبيخ والخبيز اللي حايروح لأهل العريس ياكلوه ، واللي أكيد بينزل عليهم بالسم الهاري من أهل العروسة ، لأنهم بيطبخوا مالذ وطاب من الأكل وفي الآخر عشاهم بيكون مش ولبن خض ..

وكانت كل حلة يطبخوها على (الكانون) يحطوها في المندرة في الركن المقابل لرقدتي ..

واكتشفت ان ريحة الشم مازالت تعمل عندي بكل قوة ..

وصلتني روايح جميع الحلل وهيّجت معدتي وترددت ان أهجم عليها والتهم ما فيها ، لكن خفت على نفسي من الموت زي ما قال الدكتور جاد الحق ..

لكني فكرت ، أيه يعني لما ادوق حتة لحمة صغيرة ، أكيد مش حاتأثر و احتمال ماتوصل للمعدة أصلا ..

وخدت القرار ولكن حاولت اقوم ماقدرتش ، زحفت على الأرض ووصلت للحلل ، ومن حسن حظي ان أول حلة كشفتها كانت فيها رز وفوقه حوالي اتنين كيلو لحمة ..

حطّيت حتة لحمة ف بقي ومضغتها وبلعتها ورجعت بهدوء زاحف تاني لفرشتي ..

لكني حسيت بثورة وبركان ثاير في أعضائي و هاجت المعدة وانتفض العقل وزادت حاسة الشم أضعاف مضاعفة ، وقررت اقوم بعملية انتحارية .. !

زحفت مرة تانية ووصلت للحلة اياها وكشفت الغطا وشطّبت على كل اللحمة اللي فيها وغطيتها ، ولقيتني ساعتها قادر على الوقوف ، وقفت ورجعت لفرشتي ماشي على رجلي ..

وبعد فترة بسيطة وانا في انتظار الموت لقيت الدم ضرب في عروقي ونفسي انتظم ورجعت حواسي اللي فقدتها ..

خرجت من المندرة للشارع قعدت على مصطبة دارنا اتفرج على عيال الشارع وهما بيلعبوا ، وبعد فترة بسيطة لعبت معاهم ونسيت حكاية الموت ..

وطبعا و احدة من نسوان الدار اكتشفت حالة سرقة اللحمة ورقعت بالصوت و بلّغت مرات عمي ـ وهي الكوماندة في الدار و الجميع يأتمر بأمرها ـ ..

وظهرت الحادثة أولا على أن (القطة) هي المتهم الأول في القضية ..

لكن مرات عمي فتحت تحقيق بوليسي موسع وسألت :

لما دخلتوا المندرة كانت الحلة مكشوفة ولا متغطية ..؟

قالوا : لقيناها متغطية ..

قالت : معقولة القطة تكشف الغطا وتاكل اللحمة وتحط الغطا مكانه من تاني ..

فتغير مجرى القضية ، والتفتت مرات عمي لمكان فرشتي وسألت :

فين الميّت اللي كان مرزوع هنا ؟..

ومن ذكائها أنها لم تتهمني إلا بعد ماتجيب الدليل ..

خرجت بنفسها تبحث عني في الشارع و أول ما شافتني قالت حمد لله على سلامتك ومدت إيدها تسلّم ، و أول ماسلّمت عليها مسكت إيدي وشمّتها ..

ولبستني التهمة بالدليل القاطع ..

وبعد ماخدت منها العلقة النضيفة وما أنقذنيش منها إلا ابويا محمد وهو سعيد برجوعي من المرض ، قالت مرات عمي :

وحانعمل ايه في الفضيحة ، الطبيخ يروح من غير لحمة للعريس .. قال لها : كفاية عليهم البط والفراخ والحمام والكفتة ..

قالت : لازم نتصرف نجيب لحمة ، اعمل حاجة يا راجل احسن نتفضح ..

قال ابويا محمد : طب خلّيها بقى فضيحة بجد ..

و راح حالف طلاق تلاتة مافيه حلة طبيخ حاتخرج من باب الدار .. هما يعني بس اللي بيعرفوا يا كلوا ..

وكلت الدار طبيخ العروسة وهللت با لدعاء ليا ولابويا محمد إلا مرات عمي اللي غضبت على الأكل و قالت لي :

انت السبب يا وشّ المصايب ، أنا كان عندي يجيني خبرك أهون علينا من الفضيحة .. !!

الجاموسة

توقفت الساقية عن الدوران وخفت صوتها الجميل ..

وإذا بصوت ابويا عفيفي ابو عبده يشق السكون ويصرخ مفزعاً بأعلى صوته :

ياخي جاااي .. الجاموسة وقعت ف البير ....!

وماهي إلا لحظات قليلة حتى امتلأت (علواية) الساقية عن آخرها بالبشر ..

وكما هي عادة الفلاحين ، بمجرد وصول كلا منهم يسأل ابويا عفيفي عن سبب وقوع الجاموسة في البير ، وهو لايجيب عليهم بل انخرط في بكاء هستيري وهو يتبادل النظرات مع جاموسته القابعة في البير والتي بينه وبينها عدة أمتار ولكنه لايستطيع الوصول إليها وإنقاذها .. وهو لن يسامح نفسه بأن إهماله في ربط (المخنقة) جيداً في (الناف) كان سببا في وقوع الجاموسة في بير الساقية ..

ولن يسامح نفسه أيضاً لأن عينيه غفلت لحظة عن الجاموسة ولم يرّ الجبل وهو ينفك من الناف (والغما) مثبت على وجه الجاموسة فانزلقت في البير ..

وكانت العلاقة بين ابويا عفيفي وجاموسته علاقة خاصة وحميمية جدا ، كانت مثار تعليقات وسخرية جيرانه وأقاربه ..

البعض قال انه (بيدلّع) الجاموسة ، والبعض قال انها عندهه أغلى من عياله ومراته ، والبعض قال انه ناقص يوديها المدرسة تتعلم القراية والكتابة..!!

وكانوا محقين في كل ماقالوه، فقد سخّر ابويا عفيفي كل وقته وحياته في خدمة الجاموسة ، فيقضي ساعات كثيرة في عملية دعك وتلييس جسم الجاموسة وتنقيتها أولا بأول من القمل ، ولاتأكل إلا من يده ..

وإذا تصادف ووضع أحد أبناءه الأكل لها في (الطوالة) تضرب الجاموسة عن الأكل حتى يأتي ابويا عفيفي ، ولاتشرب من أي حوض أو أي مسقى مثل باقي البهائم ، لابد أن ينظف حوض الساقية جيداً ويملأ من جديد ، ثم لاتشرب دفعة واحدة كباقي زملائها ، إنما تشرب وكأنها تحتسي فنجانا من القهوة ..!!

وابويا عفيفي دائماً ماتتجده صابراً عليها حتى تفرغ من شربها ..

وفي الظهيرة ينام وقت الأيلولة وتكون جميع أحلامه مناجاة للجاموسة يسمعها الجميع ، حتى إذا دارت في الساقية يدور من خلفها ويدفع معها (الهودية) ليخفف عنها أعباء الدوارة ..

وهكذا كانت علاقة ابويا عفيفي بجاموسته ملحمة رائعة من الوفاء الأبدي ..

كانت تعيش في مستوى أرقى من مستوى أقرانها ، رغم ان ابويا عفيفي كان يعيش في مستوى أدنى من مستوى أقرانه ، فكان لايحتكم سوى قيراطين هما كل مايملكه من طين الدنيا ..

وكانت مهمة أولاده البحث عن أكل أضافي للجاموسة على الترع والمصارف أو بعض الحشائش من حقول أعيان القرية ، لأن أرضهم غير كافية لأكل الجاموسة ..

وكان انتاج الأرض من الذرة لايكفيهما سوى لشهر واحد ويشتروا باقي مايحتاجونه طوال السنة بما تنتجه الجاموسة من سمن وسباخ ..

وهذا سر تعلق ابويا عفيفي بالجاموسة التي تستقر في البير ، والتي يخشى الناس من أن يلفظ أنفاسه الأخيرة حزناً وحسرةً عليها ..

وبدأت مراسم استخراج جاموسة ابويا عفيفي من البير ..

فبعض الفتية من الفلاحين نزلوا إلى بير الساقية لتربيط الجاموسة باستخدام (السلب) ، والبعض الآخر يتوسط البير ويقف على تجويف بين الحجارة ليساهم في رفع الجاموسة ، والفريق الثالث يقف خارج البير متحفزاً ويلف الطرف الآخز للسلب حول كتفيه استعدادا لشد الجاموسة ..

أما شيوخ الفلاحين فكان دورهم معنوي ، منهم من يشحن الشباب ويرفع من همته لتحميسه ، ومنهم من يقوم بالدعاء لله والتوسل بالرسول وآل البيت وأولياء الله الصالحين ، ومنهم من يواسي ويصبر ابويا عفيفي على بلواه ..

وهذا الفريق بالطع سيجد عناء ويحتاج إلى الكثير من الحكمة ..

بدأها ابويا مغازي قائلاً :

شد حيلك ياعفيفي ، ان شاء الله تطلع الجاموسة بعافيتها سليمة ..

فلم يعقب ابويا عفيفي ..

وقال ابويا محمود :

انت راجل مؤمن ياعفيفي وان شاء مش حاتنضام أبداً في جاموستك ..

ولم يرد أيضا ابويا عفيفي ..

ولما كان استخراج الجاموسة من البير بها نسبة من المخاطرة وذلك بأن تحدث لها كدمات قد تؤدي إلى ذبحها قبل أن تموت (فطيس) ، أو يكسر ساقها فتكون عاجزة عن المشي فتباع (لحم) ، وفي كلتا الحالتين سيكون ثمنها بخس جدا ، أراد أبويا عبدالصمد أن يمهد لهذا الاحتمال فقال :

وعلى العموم المؤمن دايماً منصاب ، ولازم يصبر على مصايبه مهما كانت ..

ولأول مرة ينطق ابويا عفيفي فقال :

مانا طول عمري صابر على بلوتي ، هوّ فيه أكتر من مصيبة الفقر اللي عايش فيه انا وعيالي ..

فقال ابويا محمود :

اللي يشوف بلوة غيره ..!

فرد ابويا عفيفي :

مفيش اسخم من بلوتي انا وعيالي ، احنا بنقسم العيش الحاف ..

فقال ابويا مغازي :

محدش عارف ، يمكن تكون الجاموسة فدا عيل من العيال ياعفيفي ..

رد ابويا عفيفي باندفاع :

ربنا ياخد العيال ويفوت لي الجاموسة ..!!

فقال ابويا محمود :

انت اتجننت ياواد ياعفيفي ..

وتعالت أصوات الإعتراضات من حوله :

ياشيخ استغفر ربنا .. ياساتر يارب لما الإيمان يروح .. انت حاتتشرط على ربنا .. خبر ايه يا عفيفي انت حاتكفر ولا أيه.. !

وماكان من ابويا عفيفي الا أنه صرخ فيهم :

ياخبر اسود ومهبب ، هوّ احنا ف خرا ولا شم ورد ، ياعني اشق هدومي منكم ولا انط ف البير واريّحكم مني ..!!

وكان ابويا عبدالغني هو الحاسم في هذا الجدال لما له من سطوة وسيطرة عليهم فصاح فيهم :

كل واحد يحط (بلغة) ف حنكه وينكتم ، أنتو حتعملوا فيها أوليا على الراجل الغلبان وانتو تاكلوا مال النبي ، يعني افكركم بكل بلاويكم ..

انتو عارفين اللي نقل الحد واللي سم البهايم واللي أكل حق اليتامى ، جاتكم الغم .. !!

فسكت الجميع ولم يبق من الأصوات إلا صوت شباب الفلاحين وهو يتناجى من أجل رفع الجاموسة من البير ..

وانتهت الملحمة باستخراج الجاموسة من البير بكامل عافيتها وهي تتحرك بين تهليل وتكبير جموع الحاضرين وزغاريد النساء ..

وسحب ابويا عفيفي جاموسته بين المهنئين وهو يبكي من فرحته بنجاتها ..

وفي طريق عودته قال له ابويا عبدالغني :

ياعفيفي ابقى حكّم عقلك مع الناس ، معقول تطلب من ربنا ينجي الجاموسة وياخد العيال ، فقال ابويا عفيفي :

ماهي الجاموسة لو حصل لها مكروه حاموت انا وعيالي من الجوع ..

فسكت ابويا عبدالغني قليلاً وابتسم وقال :

حمد الله على سلامة جاموستك وسلامتك انت وعيالك ياعفيفي ..

صلاة العيد

قرر المشير محمد عبدالحليم ابوغزالة مع مجموعة من كبار قادة القوات المسلحة تأدية صلاة العيد مع أبنائهم من جنود القوات المسلحة المصرية من كتيبتنا ....

الله .... الوطن

هكذا قال ضابط الطابور في يومية الصباح لجنود الكتيبة ٧٧ دفاع أرضي ، وبناء عليه سيتم اتخاذ إجراءات مشددة خاصة بتأمين موكب الحاضرين لصلاة العيد في نادي الجلاء ..

ومن هذا اليوم تسلّمت المخابرات والحرس الجمهوري الكتيبة وبدأوا في (غربلة) العساكر واختاروا بعضهم وتركوا الآخرين ..

وكنت من ضمن المختارين ، فأخذونا لنادي الجلاء قبل العيد بيومين للتدريب على اليوم المنتظر ..

وكانت التعليمات كثيرة وصارمة أهمها مقولة (الصول سليمان) بلغته الصعيدية الحازمة رغم طيبة قلبه :

وانت بتصلي العيد تكون واجف انتباه من حديد ياعسكري ، الحركة ممنوعة بتاتا ، حتى لو وجع عليك سجف المكان ..

و(الهش) ممنوع حتى لو وجف على وشك عش دبابير اصفر أو حط على راسك صجر ..

والهرش ممنوع حتى لو لاشك حنش بسبع جرون .. !

فاهم ياعسكري منك له ..؟؟

وفي ليلة العيد سلموا لنا التشريفة اللي حانلبسها يوم العيد وفوجئنا بتوافد مئات من الرتب المهولة على نادي الجلاء .

وقت العشاء دخل الرتب للقاعة لتناول وجبتهم ..

وبعد انتهائهم دخل أفراد المخابرات والحرس الجمهوري ياكلوا فضلات أكل الضيوف ..

وبعدهم دخل ضباط وضباط صف الكتيبة ياكلوا فضلات فضلات الأكل ..

وبعدهم دخلنا العساكر ناكل فضلات فضلات فضلات الأكل ، ولقينا وشفنا عجب العجاب ..!!

كل مالذ وطاب مما تخيلناه ومالم نتخيله ، رومي وحمام وبط وبفتيك ولحوم مشوية ومقلية وحاجات كتير مش عارف اسمائها وجميع أنواع الحلويات والعصائر والمشروبات ، لدرجة ان واحد من العساكر قام يصرخ ويقول :

هو احنا دخلنا الجنة ولا أيه ؟؟ ..

وواحد تاني قال :

مين الجدع ابن الجدع اللي يجاوب على السؤال دهـ :

لو دخلت الجنة أيه اللي حاتطلبه من ربنا أحسن من الأكل اللي قدّامك ؟؟..

والتالت قال :

لو اعرف كدهـ كنت استلفت معدة احتياطي نخزن فيها شوية أكل يرحمنا من العدس اللي طلّع عين اللي خلفونا ..

المهم كلنا فوق زادنا بمراحل وشربنا وحلينا وبعدها قالوا :

كله يدخل القاعة ينام استعدادا لصلاة العيد ..

وقفلوا علينا جميع الأبواب وطفوا النور ..

نام الجميع بصعوبة بعد حشو المعدة اللي اصبح مافيهاش أي متنفس للهوا ..

وفي الفجر اشتغل الندا والتخبيط على الأبواب من كل الاتجاهات :

الجميع يصحى ويلبس التشريفة بسرعة ..

ولما حاولنا نخرج للوضوء لصلاة الفجر قالوا :

ممنوع الخروج من القاعة ، المخابرات والحرس الجمهوري استلموا المكان والحمامات لتأمينها قبل وصول الضيوف ..

قعدنا في القاعة واحنا على وشك الإنفجار بعد الوجبة الدسمة والتاريخية الخالدة اللي كلناها ، وطبعا مفيش حد صلى الفجر .

بعد الفجر بدأت الوفود تنهال على القاعة من الشخصيات العامة ورجال الدين ورجال السياسة ..

وبعدها فوجئنا بوصول الرئيس حسني مبارك للقاعة ومعاه وزير الدفاع ووزراء كتير ورتب كبيرة شكلها يجلب الرعب ، وصلى شيخ الأزهر العيد وصلينا بالأمر وراه ـ من غير وضوء ـ وخطب خطبة العيد ، وطبعا لافهمنا ولاسمعنا منها حاجة ، كل همنا امتى ينفض المولد وندخل الحمام ..

وبعد ماانفض المولد وخرجوا وشفنا العذاب أشكال وألوان واحنا محبوسين حوالي ساعة كان البعض عملها على روحه ، وبدأت تفوح الروايح ..

واخيراً خرجنا جري على الحمامات والشاطر اللي يسبق وفضّينا وارتاحنا..

لكن خرجنا من الحمامات نلبس البيادة لقينا البيادات مش موجودة .. قالوا :

من ضمن إجراءات الأمن نقل البيادات لمكان بعيد خوفاً من وجود مواد متفجرة فيها ..

ركبنا عربيات ميري خدتنا لمكان بعيد في الصحرا ولقينا هرم من البيادات ،كل واحد يختار جوز وهو ونصيبه ..

ممكن يلاقي الفردتين شمال مش مهم ..

وممكن يلبس فردة ٤٢ والتانية ٤٥ مفيش مشكلة ..

لكن المهم رجعنا الكتيبة بعد صلاة العيد وكلنا بنقول لبعض ..

عيد مبارك ..!!

التعريف بالمؤلف

- عاطف عبد العزيز يوسف منصور الشاذلي .
- مدير عام بوزارة التربية والتعليم .
- من مواليد محافظة القليوبية ـ قرية العمار الكبرى ـ في ١٨ / ١٢ / ١٩٦٤ .
- مؤسس صالون العمار الثقافي (صالون قراجة) .
- رئيس مجلس إدارة جمعية الأدب والفنون المسرحية وهي أول جمعية متخصصة في الفن المسرحي .

- صدر له :

ـ فسحة نهار (ديوان شعر ٢٠١١)

ـ حواديت قراجة (مجموعة قصصية ٢٠١٢)

ـ اللّه ياليل اللّه (ديوان شعر ٢٠١٣)

ـ حكايا الوسعاية (مجموعة قصصية ٢٠١٦)

ـ عز الشباب (ديوان شعر ٢٠١٨)

ـ كما صدر له عن الهيئة العامة لقصور الثقافة ديوان شعر بعنوان (شقاوة عيال) عام ٢٠١٥

- نشرت له أعمال كثيرة بالعديد من الصحف والمجلات منها الأهرام والمساء والأهرام المسائي وأدب ونقد ومجلة الشعر ومجلة القاهرة وأخبار الأدب .
- قدم أعمال مسرحية منها : ابن البلد ـ المولد ـ زعيم الفلاحين ـ ياطالع الشجرة .
- شارك في إصدار العديد من المجلات منها : ندى العمار ـ نوار العمار ـ مدرستي ـ أحلام صغيرة ـ نسمات ـ كلام ـ بلاهة سياسة ـ سطور من المستقبل .
- له تحت الطبع : ـ (صور من حياة ابوسويلم) ديوان شعر ـ (قبـــل هدّ المصطبـــــة) ديوان شعر